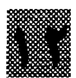
فى التنوير الإسلامى

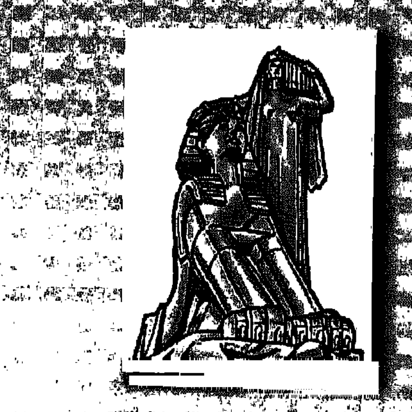


عندما دخلت مصر فى دين الله

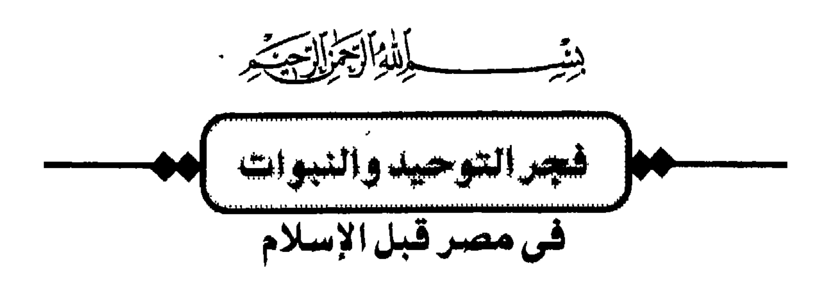
تأليف

د. محمد عمارة





اسم السلسلة: فى التنوير الإسلامى.
اسم الكتاب: عندما دخلت مصر فى دين الله
تأليف: دكتور / محمد عمارة.
تاريخ النشر: أكتوبر ١٩٩٧.
رقم الإيداع: ١٩٩٧/٣٧٣٠
الترقيم الدولى: I . S . B . N 977 - 14 - 0578 -0
الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
المركز الرئيسى: ٨ المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: ٣٣٠٢٨٧ - ٣٣٠٢٨٩ / ٠١١
فاكس: ٣٣٠٢٩٦ / ٠١١
مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة
ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ / ٠٢
فاكس: ٥٩٠٣٣٩٥ /٠٢
ادارة النشر: ٢١ ش أحمد عرابى - المهندسين - القاهرة
ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٢٨٦٤ / ٠٢ فاكس: ٣٤٦٢٥٧٦ /٠٢



بآدم ـ عليه السلام ـ بدأت مسيرة الإنسان على هذا الكوكب الذى نعيش فيه . . فهو أبو البشرية ، الذى خلقه الله وسواه ونفخ فيه من روحه . .

ولطفا من الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ بخلقه ، اقترنت الرعاية الإلهية لهذا الإنسان بلحظات الخلق والاستخلاف والأمر والنهى والتكليف :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[1] . .

---

(١) البقرة ٣٠ ـ ٣٣ .

وبوحى الله لآدم ـ عليه السلام ـ بدأت النبوة والرسالة ، فى المسيرة الإنسانية ، مقترنة بلحظة استخلاف الله لهذا الإنسان ، وتكليفه إياه . .

وإذا كان آدم هو أبو البشر ، وأول الأنبياء ، وفاتحة المرسلين . . فإن مشيئة الله قد اصطفت مصر ــ كنانة الله فى أرضه ـ لتبدأ على أرضها هداية النبوة والرسالة منذ عصر وحياة آدم ـ عليه السلام ـ ففى ربوعها كانت بعثة نبي الله إدريس ـ عليه السلام ـ الذى مثل ، فى سلسلة النبوة ، ثالث الأنبياء ، بعد آدم وشيث ، والذى عاش وبعث فى حياة آدم . عليهم جميعا الصلاة والسلام

وعن إدريس ونبوته تحدث القرآن الكريم فقال :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [١]

وعن ترتيبه وسبقه على درب النبوة والرسالة ، ومن ثم سبق مصر على درب الاصطفاء هذا ، يتحدث الذين كتبوا قصص الأنبياء . . فيقول الحافظ ابن كثير (٧٠١ ـ ٧٧٤ هـ ١٣٠٢ ــ ١٣٧٣م) ــ فى (البداية والنهاية) ــ عن إدريس ، عليه السلام : «إنه كان أول بنى آدم أعطى النبوة بعد جده آدم وبعد شيث ، عليهما السلام» . .

وعن معاصرته لآدم ، يقول ابن إسحاق (١٥١ هـ ٧٦٨م) : «إنه أدرك من حياة آدم ثلثمائة سنة وثمان سنين . .» [٢]

---

(١) مريم : ٥٦ ، ٥٧

(٢) الشيخ عبد الوهاب النجار (قصص الأنبياء) ص ٢٤ ، طبعة بيروت ــ الثالثة ــ دار إحياء التراث العربى

ومعنى ذلك ، أن مصر قد دخلت فى دين الله ، وعرفت التوحيد ، وحيا إلهيا ـ لا وضعا بشريا وإفرازا إنسانيا ـ وتلقت علم النبوة ، واحتضنت الرسالة السماوية منذ فجر الإنسانية ، وفى حياة أبى البشر آدم ـ عليه السلام ـ .

بل إن مابقى لنا من قصص نبى الله ورسول مصر إدريس ـ عليه السلام ـ ليوحى بأن هذا العمق الحضارى والسبق فى التمدن ، اللذين تميزت بهما مصر قبل سائر الحضارات ، إنما كانت لهما عروة وثقى بعلم النبوة الذى جاءها به رسولها إدريس ـ عليه السلام ـ .

فمنذ فجر الإنسانية ، تميزت الرسالة التى شرفت بها مصر ، بعلوم : الحكمة ، والتمدن ، والسياسة المدنية ، وعلوم الكون ، الأرضية منها والسماوية ، إلى جانب علوم الشرع والدين . . حتى ليتحدث الذين أرخوا للحكمة والحكماء ـ ومنهم القِفْطى ، جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف (٥٦٨ ـ ٦٤٦هـ ١١٧٢ ـ ١٢٤٨م) ـ صاحب كتاب (تاريخ الحكماء) ـ وابن جلجل ـ داود ابن حسان (بعد ٣٧٢هـ ٩٨٢م) ـ صاحب كتاب (طبقات الأطباء والحكماء) ـ عن هذه الأبعاد العلمية والحضارية فى رسالة رسول الله ونبى مصر إدريس فيقولون : «إنه أقام ـ ومن معه ـ بمصر ، يدعو الخلائق إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وطاعة الله ـ عز وجل ـ . . ورسم لهم تمدين المدن ، وجمع له طالبى العلم بكل مدينة ، فعرفهم السياسة المدنية ، وقرر لهم قواعدها . . وعلمهم العلوم . وهو أول من استخرج الحكمة ، وعلم النجوم ،

فإن الله عز وجل أفهمه أسرار الفلك وتركيبه ، ونقط اجتماع الكواكب فيه ، وأفهمه عدد السنين والحساب . .» [1]

ففى مصر بدأت بواكير التوحيد فى الألوهية ، وحيا سماويا ، منذ عصر آدم ـ عليه السلام ـ . وكما علّم الله آدم الأسماء كلها ، أوحى ـ سبحانه وتعالى ـ إلى نبى مصر إدريس علوم الحكمة والتمدن والسياسة المدنية وحقائق العلوم الطبيعية ، فعلّمها للمصريين ، لتتواصل ومضات التوحيد الدينى مع عبقرية العلوم الحضارية على أرض مصر ، جيلا بعد جيل ــ صعودا تارة وهبوطا تارة أخرى ــ منذ فجر الإنسانية وإلى أن دخل أهلها ــ بالفتح الإسلامى لأرضها ـ فى دين الله أفواجا ، وذلك عندما اكتمل وتم دين الله الواحد بنبوة ورسالة وشريعة محمد بن عبد الله ، عليه وعلى كل الأنبياء والرسل أفضل الصلاة وأزكى السلام .

* * *

وعبر هذا التاريخ المصرى ــ الذى هو أطول وأعرق ماحفظت ذاكرة الإنسانية من التاريخ ــ ظلت ومضات التوحيد الدينى فى مصر شاهدة على انتماء المصريين إلى دين الله . ولقد تمثل ذلك فيمن زارها وعاش فيها من الأنبياء والمرسلين . . وفيمن ولد فيها ونشأ وبعث منهم ــ ممن قص الله علينا قصصهم فى القرآن الكريم ــ . . وأيضا فى حكمائها ، الذين جددوا الدعوة إلى التوحيد ، ورفعوا راياته فى مواجهة طوارئ الوثنية ــ والذين قد يكونون أنبياء ورسلا ممن لم يرد ذكر لأسمائهم فى القرآن الكريم :

(١) المصدر السابق ص ٢٥ ، ٢٦ نقلا عن (أخبار الحكماء) للقفطى وانظر كذلك (طبقات الأطباء والحكماء) لابن جلجل ص ٥ ، ٦ . تحقيق فؤاد سيد . طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م .

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥)﴾ [١]

● فإلى مصر رحل إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ وهو أبو الأنبياء ـ وكان ذلك فى عصر الهكسوس (١٦٧٥ ـ ١٥٨٠ق .م) ـ . . ومن بنات مصر ـ هاجر ، عليها السلام ـ أنجب نبىَّ الله ورسولهَ إسماعيل ، عليه السلام ، الذى هو أبو العرب العدنانيين . .

فبمصر ارتبط أبو الأنبياء . . وأحد أولى العزم من الرسل . . والخليل الذى وصفه القرآن «بالصِّدِّيق» ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [٢] . . ورافع لواء التوحيد فى مواجهة الشرك وعبادة الأصنام

● وإلى مصر جاء يوسف ـ عليه السلام ـ . . . وفيها أوحى إليه ربه ، وبها بلغ الرسالة . . وعمل وساس وأصلح . . . وكان ذلك على عهد الأسرة الخامسة عشرة ـ التى يبدأ حكمها سنة ١٦٧٥ق .م . .

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ

(١) النساء ١٦٣ ـ ١٦٥ .

(٢) مريم ٤١ .

لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩)﴾[1] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٥٥) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)﴾[2]

● وباستدعاء من يوسف ، جاء إلى مصر وعاش فيها ، وعَبَد الله ودعا إليه نبى الله يعقوب ، وعدد من بنيه . .

● وفى مصر ارتفعت دعوة التوحيد فى مناجاة «أمنحتب الثالث» (١٣٩٧ ـ ١٣٦٠ق .م) لله الواحد الأحد

(أيها الموجد دون أن توجَد ،
مصوِّر دون أن تُصوَّر ،
هادى الملايين إلى السبل ،
الخالد فى آثاره التى لايحيط بها حصر .)

● وفى رسالة التوحيد التى دعا إليها «أمنحتب الرابع . . إخناتون (١٣٧٠ ـ ١٣٤٩ق .م) ـ :

(أنت إله ، يا أوحد ، ولا شبيه لك .
لقد خلقت الأرض حسبما تهوى ، أنت وحدك .

(١) يوسف . ٤٦ ـ ٤٩ (٢) يوسف ٥٤ ـ ٥٦ .

خلقتها ولاشريك لك . .
أنت خالق الجرثومة فى المرأة .
والذى يذرأ من البذرة أناسا .
وجاعل الولد يعيش فى بطن أمه ،
مهدئا إياه حتى لايبكى ،
ومرضعا إياه حتى فى الرحم .
وأنت معطى النفس حتى تحفظ الحياة على كل إنسان خلقته ،
حينما ينزل من الرحم فى يوم ولادته ،
وأنت تفتح فمه تماما ،
وتمنحه صروريات الحياة .)

● وعند رمسيس الثانى (١٢٩٠ ـ ١٢٢٣ق .م) ـ الذى أخذ العلم والحكمة والأخلاق من تراث نبى الله إدريس ، عليه السلام .

● وفى مصر ولد ونشأ وتعلّم نبى الله موسى . . وأخوه هارون ، عليهما السلام . . وأوحى الله إليهم ، وأنزل عليهم التوراة والألواح ـ (حوالى ١٢٠٠ق .م) ـ بالهيروغليفية . . لغة المصريين ـ . . فجابهت حرية التوحيد عبودية الفرعونية على ضفاف وادى النيل . .

● ليتجدد ويسطع إشعاع التوحيد عند رمسيس الثالث ـ الأكبر ـ (١١٩٢ ـ ١١٦٠ق .م) ، الذى قال ـ عندما احتدم القتال بينه وبين الوثنيين فى معركة «قادش» ـ :
(رأيت الله فى المعركة .
كان أقرب إلىّ من جنودى .
هو الذى نصرنى .)

● حتى لقد غدت شريعة السماء وعقيدة التوحيد روحا سارية فى الثقافة المصرية ، تغالب «غبش الشرك والوثنية» عبر التاريخ

المصرى الطويل ، فتعكسها وتجسدها شهادة المصرى ، يوم الحساب ، بين يدى الواحد الأحد - كما جاء فى (متون الأهرام) - :

(أنا لم أشرك بالإله .

أنا لم أعقّ والدىّ .

أنا لم ألوث ماء النيل

أنا لم أصد الماء فى موسم جريانه ،

ولم أُقم سدا فى مجراه .

أنا لم أنقص القياس .

ولم أطفف الميزان .

أنا لم أطرد الماشية من مراعيها .

أنا لم أتسبب فى بكاء أحد .

أنا لم أحرم إنسانا من حق له .

أنا لم أختطف اللبن من فم الرضيع .

أنا لم أطفئ شعلة فى وقت الحاجة إليها .

أنا لم أعترض على إرادة الله . .)

● وإلى مصر ، لجأ المسيح عيسى ابن مريم ، مع أمه ــ سيدة نساء العالمين ــ طلبا للأمن ، ونجاة من طلب «هيرودس» (٤ق .م ــ ٣٩م) - الذى أراد أن يقتله - . . وفى مصر ، وعلى إحدى رباها ، وجدوا الأمن والقرار ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (١)

(١) المؤمنون : ٥٠

وعندما جدد المسيح رسالة التوحيد ، وأعاد الروح إلى الشريعة ــ بعد أن تحول التوحيد إلى «وثنية . ومادية» على يد اليهود ــ احتضنت مصر على الفور دين التوحيد ، الذى بشر به عيسى ، عليه السلام . .

● فلما انحرفت الدولة البيزنطية ـ والمجامع التى انعقدت فى المدن البيزنطية ـ «مجمع نيقية سنة ٣٢٥م» و «مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م» بتوحيد النصرانية إلى «التثليث» . . خاضت مصر معركة الدفاع عن التوحيد . ودلك عندما رفعت «الآريوسية» ـ نسبة إلى «آريوس» ـ أسقف الإسكندرية (٢٥٦ ـ ٣٣٦م) ـ . . رفعت لواء التوحيد فى الألوهية ، وذلك عندما تمسكت بأن الله جوهر أزلى أحد ، لم يلد ولم يولد ، وكل ماسواه مخلوق ، حتى «الكلمة» فإنها ، كغيرها من المخلوقات ، مخلوقة من لاشىء . وأن المسيح لم يكن قبل أن يولد . . وأن الله قد نجاه من الصلب ـ الذى وقع على الشبيه ـ . .

ولقد حفظت مصر كل هذا الفكر التوحيدى ، حتى بعد أن طغت عقائد قانون الإيمان البيزنطى على أغلب كنائس النصرانية ، فضمت «محطوطات نجع حمادى» ـ التى اكتشفت سنة ١٩٤٧م ـ أقدم الأناجيل التى حفظت نقاء التوحيد النصرانى ـ «إنجيل توماس» و «إنجيل مريم المجدلية» و «إنجيل فيليب» و «إنجيل بطرس» و «إنجيل المصريين» ـ وعيرها ـ وفيها ثلاثة وخمسون نصا ، تقع فى ١١٥٣ صفحة ، جمعت فى ثلاثة عشر مجلدا تجسد شهادة

التاريخ على ولاء المصريين لعقيدة التوحيد ، كما مثلتها النبوات والرسالات السماوية التى تعاقبت على ضفاف النيل . .

وإذا كانت هذه الأناجيل قد نجت من الدمار الذى أصاب به البيزنطيون تراث التوحيد النصرانى ، عندما أحرقوا مكتبة معبد «سرابيوم» ـ بالإسكندرية ـ وغالبية مخطوطات مكتبة الإسكندرية ، وأغلقوا أبوابها ، بعد قتل آخر عميد لها . . فإن بقاء هذه الأناجيل ـ التى سبق تاريخ تدوينها تاريخ تدوين الأناجيل المشهورة ـ متى ، ومرقص ، ولوقا ، ويوحنا ـ بعشرين عاما ـ قد فتح الباب لإعادة كتابة هذا التاريخ ، الذى يتميز فيه دور مصر ـ صاحبة أول كنيسة نصرانية ـ على درب التوحيد الدينى ، منذ عصر آدم ـ ونبى مصر إدريس ـ وحتى رسالة المسيح ، عليهم جميعا الصلاة والسلام . [1]

---

(١) انظر فى حقائق هذا التاريخ الدينى لمصر . (قصص الأنبياء) ص ٨٤ ـ ٩٢ ، ١٢٠ ـ ١٤٤ ، ١٥٥ ـ ٣٠٢ ، ٣٨٦ . ورفاعة الطهطاوى (الأعمال الكاملة) جـ٣ ص ٨٠ دراسة وتحقيق د . محمد عمارة . طبعة بيروت سنة ١٩٧٤م ود عبد المنعم أبو بكر (إخناتون) ص ٩٧ ، ٩٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٦١م . ود . فؤاد حسين على (التوراة الهيروغليفية) طبعة القاهرة دار الكتاب العربى وفؤاد أفرام البستانى (دائرة المعارف) المجلد الأول . طبعة بيروت سنة ١٩٥٦م ود . نعمات أحمد فؤاد ، صحيفة (الأهرام) فى ٣٠/١٠/ ١٩٩٦م . و (الموسوعة الأثرية العالمية) ـ إشراف ليونارد كوتريل ـ ترجمة د محمد عبد القادر محمد ، د . زكى إسكندر طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م . ود . أحمد عثمان «مخطوطات نجع حمادى ـ أضواء جديدة على تاريخ المسيحية» مجلة (الهلال) عدد يونية سنة ١٩٩٥م .

على امتداد نحو ألف سنة ـ ما بين غزو الإسكندر الأكبر (٣٥٦ـ ٣٢٤ق .م) لمصر (٣٣٢ق .م) والفتح الإسلامى لها (٢٠هـ ٦٤٠م) ـ تعرضت مصر لمحنة عظمى وقهر شديد شمل جميع ميادين الدنيا والدين ! . .

● فعاصمتها «منف» التى كانت رمزا لوحدتها واستقلالها وعزتها ، منذ أن بناها الملك «مينا» (الألف الرابع قبل الميلاد) ـ بعد صراع مع الطبيعة حولت فيه مصر مجرى النيل العظيم ، قبل الميلاد بنحو ٣٤٠٠ عام . . هذه العاصمة ـ التى ارتبطت بهوية مصر ، ورمزت لاستقلالها ـ أهملها الغزاة الإغريق . . وبنى الإسكندر الأكبر مدينة الإسكندرية سنة ٣٣٢ ق .م لتكون العاصمة الأجنبية الاستعمارية لمصر المستعمرة ! . . ولقد سار الإغريق فى هذا الأمر على درب الغزاة الهكسوس (١٦٧٥ ـ ١٥٨٠ق .م) الذين اتخذوا لاستعمارهم عاصمة ترمز للاحتلال والاغتصاب ـ هى مدينة «أواريس» ـ وأهملوا العاصمة الوطنية لمصر والمصريين . .

● والحضارة المصرية القديمة ، ذات الطابع الشرقى ، التى جمعت مابين الدين والدنيا ، وزاوجت بين العلوم النظرية والعملية ، وآخت بين تمدن الواقع وتهذيب النفس ، وقدست العمل اليدوى والذهنى جميعا ، وعرفت «دين ـ الحكمة» و «الحكمة ـ المتدينة» منذ نبوة إدريس ـ عليه السلام ـ فى فجر الإنسانية . .

هذه الحضارة قهرتها وطوت صفحتها الحضارة الإغريقية ، فى صورتها الهلينية ، تلك التى افتقدت ذلك التوازن الذى تميزت به الحضارة المصرية الشرقية .

● واللغة المصرية ، تلك التى ارتفعت عن أن تكون مجرد أداة تعبير وتخاطب ، وذاكرة الأمة ، والحافظة لتراثها الأغنى ، ارتفعت إلى حيث تقدّست ــ فى إحدى صورها ــ عندما ارتبطت بالدين وكهنته وعلمائه . . هذه اللغة المصرية زاحمتها اللغة اليونانية الغازية فطردتها من الساحة ، حتى غدت عملة ليس لها رواج ، فطويت صفحة أبجديتها الخاصة لحساب الأبجدية اليونانية ، واضطر «الكتبة المصريون ، منذ حكم الملوك البطالمة الإغريق ، إلى استعمال الحروف اليونانية لكتابة لغتهم المصرية . . ولم يبق من حروف اللغة المصرية إلا سبعة أحرف لم يجدوا لها نظيرا فى الأحرف اليونانية» . . بل وتجاوزت الهزيمة ميدان الحروف إلى ميادين القواعد والكلمات والمصطلحات ! . . [1]

● والدين ، الذى هو أعز ما يُطْلَب ، وأغلى ما يُمْلَك ، وأعظم نعم الله على الإنسان . . والذى ارتبط ، فى مصر ، بفجر الإنسانية ، وعراقة الحضارة ــ منذ عصر آدم عليه السلام ، فى رسالة إدريس عليه السلام ــ هذا الدين ، الذى استمرت إشعاعات وومضات التوحيد فيه مضيئة ومتواصلة ، تغالب غبش الوثنية وعدوان الشرك على مر تاريخ المصريين . . والذى جعل المصريين ، بقيادة «جماعة العارفين» من أسبق الشعوب إلى احتضان النصرانية فى صورتها النقية التوحيدية . . هذا الدين قد تعرض

(١) د . أحمد عثمان مجلة (الهلال) عدد يوبية سنة ١٩٩٥م .

إلى القهر البيزنطى الذى سالت فيه الدماء أنهارا . . حدث ذلك عندما كان الرومان المستعمرون لمصر وثنيين ، حتى لقد أصبح هذا القهر الوثنى للنصرانية المصرية «إبادة» قادها الإمبراطور الرومانى «دقلديانوس» (٢٨٤ - ٣٥٠م) ، الذى أرخ المصريون بعهده عندما أطلقوا عليه «عصر الشهداء»! . .

بل إن هذا القهر الدينى ، الذى مارسه البيزنطيون ضد النصرانية المصرية ، لم يتوقف باعتناقهم للنصرانية ـ التى يتدين بها المصريون ـ فلقد طوعوا النصرانية لحضارتهم الإغريقية فاختلفت «نصرانية بولس» عن «نصرانية المسيح»! . وبعبارة إمام المعتزلة قاضى القضاء عبد الجبار بن أحمد الهمدانى (٤١٥هـ ١٠٢٤م) : «فإن النصرانية عندما دخلت روما لم تتنصّر روما ، ولكن النصرانية هى التى تروّمت»! . .

فاستمر اضطهاد كنائس روما والجامع البيزنطية ـ التى استبدلت التثليث بالتوحيد النصرانى ـ استمر اضطهادها للنصرانية المصرية الموحدة ، حتى اضطر المصريون إلى دفن أناجيل التوحيد ـ داخل «زلعة» ـ فى مقابرهم «بنجع حمادى»! . .

وحتى بعد أن قبلت الكنيسة المصرية وتبنت التثليث ـ الذى فرضه قانون الإيمان البيزنطى على كل الكنائس ، منذ مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١م ـ ظلت المقاومة المصرية لمذهب بيزنطة ملحوظة ، تثير حقد البيزنطيين . . فلقد دهبت الكنيسة المصرية مذهبا متميزا فى طبيعة المسيح وجعلت التراث المصرى القديم ـ فى قصة إيزيس وحورس وأوزوريس ـ منطلقا لتميزها فى التثليث ،

واتخذت من «مفتاح الحياة» ـ المصرى القديم ـ رمزا يشبه الصليب ، لكنه ليس هو فى صورته البيزنطية! . . وبنت كنائسها وفق المعمار الفرعونى ، لا البيزنطى . . ووظفت هذا التمايز فى النسق القومى المتميز والمقاوم للقهر الحضارى والقومى والدينى الذى يمارسه البيزنطيون إزاء المصريين . . الأمر الذى أدام الاصطهاد البيزنطى لمصر والمصريين فى ظل «الجامع النصرانى» كما كان حاله فى «ظل «التمايز الوثنى ـ النصرانى»! . . فسار الإمبراطور الرومانى «جستنيان الأول» (٥٢٧ ـ ٥٦٥م) على درب «دقلديانوس» ، فقتل ٢٠٠,٠٠٠ قبطى فى الإسكندرية وحدها . . ومن نجا من القتل هرب إلى الصحراء . حتى لقد انسحبت النصرانية المصرية من الحياة المدنية إلى المغارات والكهوف فى مفازات الصحارى المصرية ، مخلفة حتى كنائسها التى اغتصبها البيزنطيون! . . الأمر الذى جعل مصر ـ الوطن والدولة والسيادة واللغة والدين والحضارة ـ عندما ظهر الإسلام (سنة ٦١٠م) ـ «فراغا حضاريا» . . بل «مواتا حضاريا» ـ إذا جاز التعبير ـ قد قهر الرومان فيها أغلب سمات وقسمات «الانتماء» التى ميزت المصريين عبر تاريخهم العريق . فكان هذا «الفراغ الحضارى» هو العامل الأول والسر الأعظم وراء انخراط مصر فى الدولة الإسلامية ، ثم فى الدين الإسلامى واللغة العربية ، والحضارة الإسلامية على نحو من العمق والشمول نادر الحدوث فى غيرها من الأقطار التى فتحها الإسلام . .

فلم تقف مصر الإسلامية عند حدود الانتماء للإسلام

كدين ودولة ، وإنما تبوأت مكانتها الريادية ، حتى لكأنها هى صاحبة هذا الدين ، والأمينة عليه ، والحارسة له   فكانت دولتها هى الحامية لدولة الإسلام . . وكانت عربيتها ـ حتى فى لهجتها العامية ـ الأقرب إلى لغة القرآن   وكان اعتدالها فى التدين هو الأقرب إلى وسطية الإسلام . . وكان إبداعها المتميز فى مختلف العلوم الإسلامية ، الشرعية منها والمدنية ، آية على أنها قد «عاشت» الإسلام ، واتخذته «رسالتها» ، دينا ودولة ، ولغة وثقافة ، وعلما وحضارة ، وقومية وعزة ، بكل مايعنيه ذلك فى سائر ميادين العلم والعمل والإبداع والانتماء . . لقد جاءها الإسلام وهى «فراغ وموات حضارى» ، فملأ الإسلام هذا الفراغ وأحيا هذا الموات

وبذلك . . ولذلك استعادت مصر الإسلامية «عافيتها الحضارية» ، عندما دخلت فى الإسلام ، الذى هو تمام الدين الإلهى الواحد ، الذى عرفته وانتمت إليه منذ فجر الإنسانية ، عندما استجابت إلى دعوة نبى الله ورسوله إدريس ـ عليه السلام ـ . .

لقد وجدت فى شريعة محمد ﷺ كمال واكتمال توحيد إدريس ـ ومن سار على دربه من أنبيائها وحكمائها ـ ووجدت فى دولة الإسلام التحرير من قهر الرومان البيزنطيين .

ظهر الإسلام (سنة ٦١٠م) والشرق واقع فى قبضة الاستعمار والهيمنة اللتين مارستهما قوى نظام عالم ذلك التاريخ : الفرس الساسانيون ، والروم البيزنطيون . .

● فالفرس فرضوا سلطانهم وهيمنتهم على مشرق البلاد العربية ، العراق والخليج ، حتى لقد بنوا «إيوانهم» فى «المدائن» العربية ، واستلحقوا العرب المناذرة أتباعا ووقودا فى صراعهم الطويل مع الروم البيزنطيين . .

● والروم البيزنطيون ورثوا استعمار الشام ومصر وشمالى أفريقيا ، منذ غزوة الإسكندر الأكبر . . أى قبل نحو من ألف عام واستلحقوا عرب الشام ـ الغساسنة ـ أتباعا ووقودا فى حروبهم مع الفرس . . بل وأوعزوا إلى الحبشة ، التى احتلت اليمن ، لتزيل استقلال وسط شبه الجزيرة العرية ، وتهدم الكعبة والبيت العتيق ـ الذى ظل وحيدا وفريدا «حرا . . عتيقا» فى شرق ذلك التاريخ ! . .

لكن إرادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد شاءت أن يكون ظهور الإسلام الدين تحولا حضاريا ، يزيح هيمنة الفرس والروم عن الشرق ، ويحرر شعوبه المستعبدة ، ويغير مجرى التاريخ .

● ففى ذات العام الذى ولد فيه رسول الإسلام ـ محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (سنة ٥٧١م) ـ ينهزم الأحباش وقائدهم أبرهة فى غزوة الفيل ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ

الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ (١) . . فبدأ الإعجاز الإلهى مقدمات التحولات التى ستغير قيادة الحضارة ومجرى التاريخ .

● وبعد هزيمة عزوة الفيل ، وهلاك أبرهة الحبشى ، انتفضت اليمن فتحررت ، بقيادة سيف بن ذى يزن (٥١٦ ـ ٥٧٤م) لتعود الصلات والتجارات بين العرب ـ فى شمال الجزيرة ووسطها وجنوبها ـ ولتنعقد أواصر التحالف والتضامن بين حكومة مكة ـ بقيادة عبد المطلب بن هاشم (٥٠٠ ـ ٥٧٩م) ـ وبين حكومة الاستقلال فى اليمن . .

● وفى ذات العام الذى انبثق فيه نور الوحى بكتاب الإسلام ، القرآن الكريم (٦١٠م) ، يحدث أول انتصار للعرب على الفرس فى تاريخ هذا الصراع ، فى «يوم ذى قار» . .

● فلما قامت للإسلام دولة ، بالهجرة من مكة إلى المدينة (سنة١هـ ٦٢٢م) ، واضطرت قوى الشرك العربى ، فى صلح الحديبية (سنة٦هـ ٦٢٨م) إلى الاعتراف بأمة الإسلام ودولته ، ودانت القبائل العربية بالولاء للدين الجديد والدولة الفتية ، توجهت سياسة الإسلام إلى الدائرة الخارجية ، بالدعوة أولا إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن ، فاتحة بذلك طريق تحرير الشرق من استعباد الفرس والروم . . فخرجت رسل رسول الله ﷺ (سنة٧هـ ٦٢٨م) بكتبه ورسائله

---

(١) الفيل ١ ـ ٥

إلى كسرى فارس ، وقيصر الروم ، ونجاشي الحبشة ، ومقوقس مصر ، وإلى رؤساء وأقيال وأمراء القبائل والعشائر والولايات فى الأطراف .

ويلفت النظر ذلك المغزى ذى الدلالة الكبرى فى تعامل رسول الله ﷺ مع مصر ، منذ اللحظة الأولى التى أرسل فيها رسوله حاطب بن أبى بلتعة (٣٥ق .هـ ـ ٣٠هـ ٥٨٦ ـ ٦٥٠م) بكتابه إلى مصر . . فالإسلام لم يعترف بأن مصر هى شأن من شئون الروم البيزنطيين ـ رغم خضوعها لاستعمارهم منذ مايقرب من ألف عام . . فكما أرسل الرسول ﷺ فى شأن الروم ، كتابه إلى «هرقل» (٦١٠ ـ ٦٤١م) ـ وحمله الصحابى دحية الكلبى (٤٥هـ ٦٦٥م) ـ . . تحدث الرسول إلى المصريين فى شأنهم ، ولم يعتبرهم شأنا روميا بيزنطيا . . فأرسل رسوله حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس ، «عظيم القبط» ـ والذى كان يقيم فى «منفيس» ، العاصمة التاريخية والوطنية للمصريين . . ولم يذهب حاطب ، فى شأن مصر ، إلى العاصمة البيزنطية للاستعمار الرومانى بمصر ـ الإسكندرية ـ ولا إلى «سيرس» ، بطرك الروم . . ويلفت النظر إلى هذه الحقيقة التاريخية ، ذات المغزى التحريرى الهام الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٥ ـ ١٣٢٣هـ ١٨٤٩ـ ١٩٠٥م) عندما يقول : «إن النظرية القائلة بأن «المقوقس» هو «سيرس» بطريق الإسكندرية ، نظرية خاطئة . إن المقوقس قبطى ، وهو حاكم منفيس . .»[1] . .

فمنذ اللحظة الأولى ، رفضت السياسة الخارجية للدولة

(١) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) جـ١ص ٨٣٣ دراسة وتحقيق ٠ د محمد عمارة طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م

الإسلامية الاعتراف بالأمر الواقع ، الذى تمثل فى هيمنة قطبى نظام عالم ذلك التاريخ ـ الفرس والروم ـ على الشرق والشرقيين . .

ولم يكن خطاب الرسول ﷺ فى شأن مصر والمصريين ، مع «المقوقس» عظيم القبط ، وفى العاصمة الوطنية لمصر ـ وليس مع «هرقل» فى «القسطنطينية» ، ولا مع بطرك الروم فى «الإسكندرية» ـ لم يكن ذلك الموقف فى السياسة الخارجية الإسلامية استثناء ، وإنما كان موقفا عاما ، رافضا الاعتراف باستعمار الفرس والروم للشرق والشرقيين . . فكانت رسل رسول الله ﷺ يحملون كتبه إلى الولاة والقادة العرب ـ من الغساسنة والمناذرة ـ الخاضعين لسيطرة الروم والفرس حتى ذلك التاريخ . . فإلى ملك «البلقاء» بالشام الحارث بن أبى شمر الغسانى ، ذهب شجاع بن وهب الأسدى . . كما ذهب سليط بن عميرة إلى العلاء بن الحضرمى ، ملك البحرين . .[1] . . وإلى غيرهم من القادة الوطنيين . . فتوجه **الخطاب الإسلامى فى الشئون الشرقية إلى الشعوب المستعمرة وقياداتها الوطنية ، وليس إلى المستعمرين من الفرس والروم .**

***

ذهب حاطب بن أبى بلتعة إلى مصر الشعب القبطى المقهور دينيا وقوميا ولغويا وثقافيا وسياسيا وحضاريا ، حاملا رسالة رسول الإسلام إلى «المقوقس» عظيم القبط ، طالبا إليه الدخول فى الإسلام ، لا باعتبار الإسلام ناسخا لنصرانية عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ وإنما باعتباره الشريعة المكملة لدين الله الواحد ،

---

(١) رفاعة الطهطاوى (الأعمال الكاملة) جـ٣ ص ٥٦٣ ، ٥٦٤ دراسة وتحقيق . د محمد عمارة طبعة بيروت سنة ١٩٧٤م

منذ أدم إلى محمد بن عبد الله ، فهى دعوة للمصريين كى يكملوا ، بالإسلام ، الدين الذى عرفوه منذ نبى الله إدريس ، عليه السلام .

ولقد شهد الحوار الذى دار بين المقوقس وبين حاطب على هذا الأفق الرفيع والواسع والعميق فى فهم صحابة رسول الله ﷺ لمكانة الإسلام ومقامه من حقيقة تمام الدين واكتمال رسالات السماء إلى الإنسان ﴿ . .الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً . . ﴾[1] ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [2] .

ولقد دار الحوار بين «المقوقس» وبين الصحابى حاطب بن أبى بلتعة ، على النحو الذى يكشف كيف صنعت مدرسة النبوة الإسلامية من البدو الأميين علماء وفلاسفة فى الدين والتاريخ ! . . ولقد بدأ المقوقس هذا الحوار بالتحدى والتساؤل الاستنكارى ، المتسائل عن صدق نبوة محمد وسلطان نبوته . . فقال لحاطب :

« ـ ما منعه ـ (أى الرسول) ـ إن كان نبيا ـ أن يدعوَ علىَّ فيُسَلَّط علىَّ ؟! .

(فكان جواب حاطب) : ـ ما منع عيسى بن مريم أن يدعوَ على من أَبَى عليه أن يُفْعَلَ به و يُفْعَل! .

. . (فوجم المقوقس ساعة ـ أى فترة ـ ثم استعاد إجابة حاطب . . فأعادها عليه حاطب . فسكت المقوقس) . .

---

(١) المائدة : ٣ (٢) البقرة : ٢٨٥

وهنا استأنف حاطب الحوار ، فقال للمقوقس :

ـ إنه قد كان قبلك رجل ـ (يشير إلى فرعون موسى) ـ زعم أنه الرب الأعلى ، فانتقم الله به ـ (أى من الذين استخفهم فأطاعوه) ـ ، ثم انتقم منه ، فاعْتبر بغيرك ، ولا يُعْتَبَر بك .

وإن لك دينا ـ (أى النصرانية) ـ لن تَدَعَهُ إلا لما هو خير منه ، وهو الإسلام ، الكافى اللهُ به فَقْدَ ما سواه . وما بشارة موسى بعيسى إلا كبشامة عيسى بمحمد . وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائلك أهل التوراة إلى الإنجيل . ولسنا ننهاك عن دين المسيح ، ولكنا نأمرك به!» .

وبعد هذا الخطاب ، الذى بلغ قمة العمق فى الوعى بالتاريخ ، وفى فلسفة وحدة الدين الإلهى ، الذى اكتمل بالإسلام . . قرأ حاطب بن أبى بلتعة كتاب رسول الله ﷺ إلى المقوقس :

«بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى المقوقس ، عظيم القبط . سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد . فإنى أدعوك بدعاية الإسلام . فأسْلِم تَسْلم يؤتك الله أجرك مرتين . فإن تولَّيْتَ فعليك إثم القبط ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [1] .»[2]

---

(١) آل عمران ٦٤

(٢) ابن عبد الحكم (فتوح مصر وأخبارها) ص٤٦ طبعة ليدن سنة ١٩٢٠م و(مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة) ص٧٢ ، ٧٣ تحقيق د محمد حميد الله . طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م .

فمنذ ذلك التاريخ (سنة ٧هـ سنة ٦٢٨م) بدأ الرسلام إفراد وتمييز شعوب الشرق بالخطاب عن قوى الهيمنة والاستعمار ـ الفرس والروم ـ . . إعلانا صريحا عن نزوع الإسلام إلى تحرير هذه الشعوب من ذلك الاستعمار .

ولذلك . . فلم يكن غريبا ذلك الاستقبال الحسن الذى لقيه حاطب بن أبى بلتعة لدى عظيم القبط «المقوقس» ، فى العاصمة الوطنية لمصر «منفيس» . وعندما قفل عائدا إلى المدينة ، بعث معه المقوقس «بهدايا مصرية» إلى رسول الله ، ﷺ ، جاريتان من كرام بنات مصر «مارية» و أختها «سيرين» وثياب مصرية ، من صناعة المصريين . . وعسل من مدينة «بنها» . . وراحلتان ـ بغلة وحمار ـ . .

وكما كان لرسالة الرسول ﷺ هذا القبول الحسن عند المقوقس . . فلقد كان لهذه الهدايا المصرية قبولا حسنا ومكانة متميزة عند رسول الله . . «فمارية» ، قد شرفها بأن أصبحت أم ولده إبراهيم ، الذى أشار اسمه إلى المصاهرة القديمة بين مصر وأبى الأنبياء الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ تلك المصاهرة التى أثمرت أمة العرب العدنانيين . . وهاهو النبى العربى ، المجدد لملة إبراهيم والمحيى ـ فى السعى بين الصفا والمروة ـ لمناسك هاجر المصرية ، يجدد العلاقة بمصر فيصاهر المصريين ، لتجتمع لمصر مع العرب الذمة والصهر والنسب جميعا . . أما «سيرين» فلقد أصبحت أم ولد شاعر الإسلام ، المؤيد بروح القدس ، حسان بن ثابت ـ أم ولده عبد الرحمن ـ . وتتحدث المأثورات النبوية عن دعاء الرسول ﷺ

بالبركة لهذا العسل الذى أهدته إليه مصر . وعن مكانة الراحلتين ـ البغلة «دُلْدُل» ، والحمار «يعفور» ـ لديه ﷺ ، وكيف كانا «أحب دوابه إليه» . أما الثياب التى أهدتها إليه مصر ، فكان يتزين بها ، ثم أوصى أن يُكَفَّن فى بعضها عندما يلقى الله . فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال . قلنا . يارسول الله ، فيم نكفّنك؟ قال . «فى ثيابى هذه ، فى ثياب مصر» [1]

وهكذا دار الزمن دورته ، فجدد الاقتران بين مصر وبين خاتم الأنبياء . . ذلك الاقتران الذى سبق وحدث بينها وبين أبى الأنبياء ، إبراهيم الخليل ، عليهم السلام .

***

وإذا كان الاصطفاء والتكريم مألوفا فى الناس . . وفى الأوقات والأزمنة . . فإنه وارد أيضا فى الأمكنة والبلاد والأقطار . . وهذا ما التفت إليه أعلام المؤرخين الذين كتبوا عن «فضائل مصر» . فلقد تتبعوا احتفاء القرآن الكريم بها . عندما ورد ذكرها فيه فى نحو من خمسة وعشرين موضعا ، «منها ما هو بصريح اللفظ ، ومنها مادلت عليه القرائن والتفاسير . . فأما صريح اللفظ ، فمنه قوله تعالى .

١- ﴿ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾ [2]

٢- وقوله ، يخبر عن فرعون : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِيَ مِن تَحْتِي ﴾ [3] .

---

(١) (فتوح مصر وأخبارها) ص٥٢ (٢) البقرة . ٦١ (٣) الزخرف ٥١

٣- وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ (١).

٤- وقوله ـ عز وجل ـ مخبرا عن نبيه يوسف ، عليه السلام : ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ (٢).

٥ ، ٦ - ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣)

وأما ما دلت عليه القرائن ، فمنه قوله عز وجل :

٧- ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾ (٤).

٨- وقولهَ عز وجل : ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (٥)

ـ قال ابن عباس (٣ق .هـ ٦٨هـ ٦١٩ ـ ٦٨٧م) وسعيد بن المسيب (١٣ ـ ٩٤هـ ٦٣٤ ـ ٧١٣م) ووهب بن مُنَبّه (٣٤ ـ ١١٤هـ ٦٥٤ ـ ٧٣٢م) وغيرهم : هى مصر

٩ - ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ (٦) . . أى أخرجنا بنى إسرائيل من مصر .

---

(١) يونس ٨٧ . (٢) يوسف . ٩٩ . (٣) يوسف . ٢١ .

(٤) يونس . ٩٣ (٥) المؤمنون ٥٠ (٦) الشعراء . ٥٧ ، ٥٨ .

١٠- وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ (١) . . يعنى مصر .

١١ - وقوله تعالى :﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾(٢) .

١٢- وقوله تعالى · ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾(٣)

١٣- وقوله ـ عز وجل ـ مخبرا عن نبيه موسى ، عليه السلام ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (٤) . . أى لا ترتدوا إلى مصر . .

١٤- وقوله ـ عز وجل ـ مخبرا عن فرعون : ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ ﴾ (٥) .

١٥- وقوله عز وجل ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ (٦) .

١٦- وقوله ـ تعالى ـ مخبرا عن فرعون : ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ (٧) . يعنى أرض مصر . .

---

(١) الأعراف ١٣٧ (٢) الدخان ٢٦ . (٣) القصص . ٥ . (٤) المائدة . ٢١
(٥) غافر . ٢٩ (٦) الأعراف · ١٣٧ (٧) الأعراف . ١٢٧

١٧- وقوله ـ تعالى ـ مخبرا عن نبيه يوسف ، عليه السلام : ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

١٨- وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ﴾ (٢) .

١٩- وقوله تعالى ، مخبرا عن بني إسرائيل · ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٣)

٢٠- وقوله تعالى ، مخبرا عن نبيه موسى ـ عليه السلام ـ · ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى الأَرْضِ ﴾ (٤) .

٢١- وقوله تعالى : ﴿ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى الأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ (٨) . . يعنى أرض مصر .

٢٢- وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾ (٦) .

٢٣- وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ علا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ (٧) .

٢٤- وقوله ـ تعالى ـ محبرا عن أكبر أبناء يعقوب عليه السلام : ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ ﴾ (٨) يعنى مصر .

٢٥- وقوله تعالى : ﴿ إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى الأَرْضِ ﴾ (٩) (١٠)

---

(١) يوسف ٥٥ (٢) يوسف ٥٦ · (٣) يونس ٨٨ . (٤) الأعراف ١٢٩ .
(٥) غافر ٢٦ . (٦) القصص ٢٠ . (٧) القصص : ٤ . (٨) يوسف ٨٠ .
(٩) القصص ١٩
(١٠) ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة) جـ١ ص ٢٧ ، ٢٨ طبعة دار الكتب المصرية

هكذا شرف الله ـ سبحانه وتعالى ـ مصر الكنانة عندما ذكرها فى قرآنه الكريم فى خمسة وعشرين موضعا وعلى هذا الدرب جاء فضلها فى سنة رسول الله ﷺ بتلك المأثورات النبوية التى جمعها علماء التاريخ .

لقد تنبأ رسول الله ﷺ بفتح الإسلام لمصر . . وبدورها الرائد والمتميز ـ كدرة فى جبين دار الإسلام ـ فى الجهاد لنصرة الإسلام وأمته وحضارته . . فأوصى ، لذلك ، بأهلها ، وقال : «إذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيرا ، فإن لهم ذمة ورحما» [1]

وعن مسلم بن يسار ، أن رسول الله ﷺ قال : «استوصوا بالقبط خيرا ، فإنكم ستجدونهم نعم الأعوان على قتال عدوكم» .

وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، أن رسول الله قال : «اللهَ اللهَ فى قبط مصر ، فإنكم ستظهرون عليهم ، ويكونون لكم عدة وأعوانا فى سبيل الله . . إنهم قوة لكم وبلاغ إلى عدوكم بإذن الله تعالى» . .

وعنه ﷺ أنه قال ·

«إذا افتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا ، فذلك الجند خير أجناد الأرض»

فقال له أبو بكر الصديق · ولم ذلك يارسول الله ؟

فقال «لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة . ماكادهم أحد إلا كفاهم الله مؤنته» [2]

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير

(٢) (فتوح مصر وأخبارها) ص ٣ ، ٤ و (النجوم الزاهرة) جـ١ ص ٢٩

وعن أبى ذر الغفارى ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «إنكم ستفتحون مصر ـ وهى أرض يُسَمَّى فيها القيراط ـ فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها ، فإن لهم ذمة ورحما» [1]

هكذا توجه الإسلام إلى أهل مصر بالخطاب المستقل ، إعلانا عن عزم دولته على تحريرها من القهر السياسى والدينى والحضارى الذى أوقعه بها الإغريق والرومان . .وهكذا كرمها القرآن الكريم ، ونبى الإسلام ، والسنة النبوية الشريفة ، عندما بوأتها هذه المكانة المتميزة والعالية فى مصادر الإسلام .

* * *

وإذا كانت هذه هى مكانة مصر فى الرؤية الإسلامية ، وهذه هى قسمة البعد التحريرى فى السياسة الإسلامية نحو الشعب القبطى ـ المصرى ـ . . فلقد كان الروم البيزنطيون يرون فى مصر الحصن الحافظ لاستعمارهم ، والذى إذا سقط انحسر سلطانهم الاستعمارى عن الشرق كله ، ذلك السلطان الذى دام نحوا من عشرة قرون (٣٣٢ ق .م ٦٤٢م) . . ففى المواجهة التى احتدمت بين الروم ، بقيادة «هرقل» (٦١٠ ـ ٦٤١م) ، وبين دولة الخلافة الراشدة ، على عهد عمر بن الخطاب (١٣ ـ ٢٣ هـ ٦٣٤ ـ ٦٤٤م) ، شحن الرومان مصر بالجيوش والعدة والعتاد ، وخاصة بعد أن انحسر سلطانهم وزالت دولتهم عن بلاد الشام . . حتى لقد عبّر «هرقل» عن هذا الموقف صراحة عندما قال : «لئن ظهرت العرب على الإسكندرية فإن فى ذلك انقطاع ملك الروم

(١) رواه مسلم والإمام أحمد .

وهلاكهم ، لأنه ليس للروم كنائس أعظم من كنائس الإسكندرية ، وأعياد الروم بالإسكندرية . .» [1]

وحتى نعرف حدة الصراع ، وشراسة القتال ، وطول المحاصرات ، وقوة التحصينات ، وشدة المعاناة التى اكتنفت الفتح الإسلامى لمصر ـ مع ملاحظة وقوف الشعب المصرى مع جيش عمرو بن العاص . . وتركز الصراع والقتال ضد حاميات الروم وحصونها ـ . . حتى نعرف مبلغ ذلك ، يكفى أن نتذكر أن الفتح الإسلامى للعراق والخليج وفارس ، وأيضا لكل أنحاء الشام ، بما فى ذلك المعارك الكبرى فى «القادسية» و «أجنادين» و «اليرموك» تمت كلها فى عام واحد (١٥هـ ٦٣٦م) ، بينما استغرق فتح مصر وحدها نحوا من أربع سنوات! . . بل إن فتح مدينة الاسكندرية وحدها قد استلزم حصارا فرضه المسلمون عليها دام أربعة عشر شهرا ، منها خمسة أشهر فى حياة هرقل وتسعة بعد وفاته . . فلقد كانت مصر درة الإمبراطورية البيزنطية ، ومقر الجيوش الرومانية الحارسة لهيمنة بيزنطة على الشرق ـ من الشام وحتى شمالى إفريقيا .

ويبدو أن هذه الإمكانات العسكرية التى ركزها الرومان فى مصر ، كانت هى سبب التردد الذى حدث لفكر وموقف عمر بن الخطاب فى اتخاذ قرار فتحها عندما اقترحه عليه وحسّنه له وأغراه به عمرو بن العاص (٥٠ ق . هـ ٤٣هـ ٥٧٤ ـ ٦٦٤م) فى سنة (١٨هـ ٦٣٩م) ، عندما التقيا فى الشام . . فلقد استخار عمر فى

---

(١) (فتوح مصر وأخبارها) ص ٦٨ .

ذلك واستشار ، واستمرت شوراه حتى بعد أن تحرك عمرو بن العاص بجيشه متوجها نحو مصر . . وكان مما قاله عثمان بن عفان لعمر ، فى هذه المشاورات : «يا أمير المؤمنين ، إن عمرا لجرىء ، وفيه إقدام ، وحب للإمارة ، فأخشى أن يخرج فى غير ثقة ولا جماعة فيعرض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لايدرى تكون أم لا . .» [1] . . فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص بالرجوع عن خطة الفتح إذا لم يكن قد دخل مصر ، وبالمضى إلى الفتح إذا كان قد دخلها . . وجاء فى كتابه : «أما بعد فإنك سرت إلى مصر ومن معك ، وبها جموع الروم ، وإنما معك نفر يسير . . فإن لم تكن قد بلغت مصر فارجع . . وإن أدركك كتابى وقد دخلتها فامض ، واعلم أنى مُمِدُّك . .» [2] . فكان فتح عمرو بن العاص لكتاب أمير المؤمنين بعد تجاوزه لـ«رفح» وقبل دخول «العريش» . . ذلك أن مشيئة الله كانت قد نفذت ، وحان الحين كى يجسدها على الأرض وفى ميادين الفتوحات التحريرية ، أولئك الذين استخلفهم الله للانتقال بالإنسانية إلى طور جديد . .

﴿الَّذينَ إن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[3] .

* * *

(١) المصدر السابق . ص ٥٧ ، ٥٨ .

(٢) المصدر السابق . ص٥٧ .

(٣) الحج ٤١

وإذا كـانت وقـائع هذا الفـتح المبين ، ومـراحله وتواريخـه قـد اختلفت فى بعضها بعض روايات المؤرخين . فإن التحقيق لهذه الروايات والمقارنة بينها يحكى لنا حقائق سير خطوات هذا الحدث التاريخى العظيم

● كان عـمرو بن العاص قد أسهم إسهاما متميزا فى قيادة فتوحات الشام . . وهو الذى تولى قيادة المعركة فى «أجنادين» ، عندما كانت قيادة جيش الروم لداهيتهم «أرطبون» ـ «الذى كان أدهى الروم وأبعدها غورا ، وأنكاها فعلا» ـ كما يقول الطبرى (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ ٨٣٩ ـ ٩٢٣م) ـ ولقد قدم المسلمون عمرو بن العاص باعتباره الكفء لأرطبون الروم . . وقال عمر بن الخطاب «لقد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب ، فانظروا عمّ تنفرج»! . ولقد انفرجت المعركة عن انتصار المسلمين بقيادة عمرو بن العاص على أرطبون الروم ! (١)

● وحدث فى سنة (١٨هـ ٦٣٩م) طاعون بأرض الشام ـ بضيعة «عمواس» ، على ستة أميال من القدس ـ مات فيه كثيرون ، منهم قائد الجيش الإسلامى الفاتح للشام ، أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح (٤٠ق .هـ ـ ١٨ هـ ٥٨٤ ـ ٦٣٩م) ونائبه معاذ بن جبل (٢٠ق .هـ ١٨هـ ٦٠٣ ـ ٦٣٩م) . . فأصبحت قيادة جيش المسلمين فى الشام لعمرو بن العاص (٥٠ ق .هـ ٤٣هـ ٥٧٤ ـ ٦٦٤م) . . وسار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من المدينة إلى الشام ، ونزل بـ «الجابية» ـ وهى قرية من أعمال دمشق ـ وقسم

(١) الطبرى (تاريخ الرسل والملوك) جـ١ ص ٦٠٥ ـ ٦٠٧ . تحقيق . محمد أبو الفضل إبراهيم طبعة دار المعارف القاهرة

مواريث موتى الطاعون . . وفى لقائه مع عمرو بن العاص ، شاوره عمرو فى فتح مصر ، وحسنه له ، وأغراه به . . فوافق عمر ، على أن تمتد المشورة إلى ما بعد عودته للمدينة ـ وفيها كبار الصحابة ـ وعلى أن يظل القرار النهائى معلقا بنتائج الشورى . . وبدخول الجيش الفاتح إلى الديار المصرية . .

● وعاد عمر إلى المدينة فى ذى القعدة سنة ١٨ هـ ديسمبر سنة ٦٣٩م . . فى الوقت الذى سار فيه عمرو بن العاص على رأس جيش الفتح ـ المكون من ٤,٠٠٠ (أربعة آلاف) مقاتل قاصدا فتح مصر . . فلما وطئت أقدام الجيش الإسلامى أرض مصر ، أدركهم رسول أمير المؤمنين ، بكتابه الذى يدعوهم إلى الرجوع إن لم يكونوا قد دخلوا أرضها . . وكانت قراءة الكتاب وهم على أرض مصر ، فى قرية بين «رفح» و «العريش» . . فمضوا إلى فتحهم على بركة الله . .

● وفى مدينة «العريش» حل أول عيد للأضحى على المسلمين فى أرض مصر ، فصلى عمرو بن العاص وجنوده أول صلاة للعيد على أرض الكنانة ، وضحى عن أصحابه بكبش ، فى ١٠ ذى الحجة سنة ١٨هـ ١٣ ديسمبر سنة ٦٣٩م ـ أى قبل أربعة عشر قرنا من التاريخ الذى نكتب فيه هذه الصفحات ـ . .

● وفى مدينة «الفرما» حدث أول قتال شديد بين الجيش الإسلامى وبين قوات الروم ، وفى هذه المعركة دام القتال نحوا من شهر ! [1] .

(١) (فتوح مصر وأخبارها) ص ٥٨

● وبعد هزيمة الروم فى «الفرما» انحرف الجيش الإسلامى عن الطريق الساحلى ، متجها إلى الجنوب الغربى . . وعند «بلبيس» وقعت ثانية وقائع القتال الشديد بينه وبين الرومان . . ودامت هذه المعركة ، هى الأخرى ، نحوا من شهرا . انتصر فيها المسلمون على الرومان . .

● وكان الاضطهاد الرومانى لأقباط مصر قد ألجأ أسقف القبط ورأس الكنيسة المصرية «بنيامين» ـ أو «أبو ميامين» (٣٩هـ ٦٥٩م) ـ إلى الهرب فى الصحراء «فلما بلغه قدوم عمرو بن العاص إلى مصر كتب إلى القبط يعلمهم : أنه لا تكون للروم دولة ، وأن ملكهم قد انقطع ، ويأمرهم بتلقى عمرو» بن العاص . حدث ذلك منذ بدايات معارك الفتح الإسلامى لمصر ، حتى «يقال : إن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا ، يومئذ ، لعمرو أعوانا .» [1]

● وأدرك عمرو بن العاص ـ رغم انتصاره فى «الفرما» و «بلبيس» ـ ومن خلال شراسة المقاومة ، وطول مدة القتال ـ شهر فى «الفرما » وشهر فى «بلبيس» ـ اختلال التوازن بينه وبين الأعداء . فجنوده ٤,٠٠٠ يواجهون ١٢٠,٠٠٠ يحتمون فى الحصون والمدن والقلاع ووافر العدة والعتاد . . فكتب إلى عمر بن الخطاب يطلب المدد الذى وعده به ، فجاءه المدد ، وهو محاصر «لحصن بابليون» ، قرب العاصمة المصرية «منفيس» . . أمده أمير المؤمنين عمر بـ ٤,٠٠٠ مقاتل ، وعلى رأس كل ألف منهم واحد من أبطال صحابة رسول الله ﷺ ، قدّر عمر بن الخطاب أنه يزن ألفا من المقاتلين فأصبح عدد الجيش الفاتح ٨,٠٠٠ ووزنه ١٢,٠٠٠ من المقاتلين ! .

---

(١) المصدر السابق ص ٥٨ ، ٥٩

ومع هذا المدد جاء كتاب أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص ، يقول له فيه : «إنى قد أمددتك بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف رجل منهم رجل مقام الألف ـ الزبير بن العوام (٢٨ ق .هـ ٥٩٦ ـ ٦٥٦م) والمقداد بن عمرو بن الأسود (٣٧ق .هـ ـ ٣٣هـ ٥٨٧ ـ ٦٥٣م) وعبادة بن الصامت (٣٨ق .هـ ـ ٣٤هـ ٥٨٦ ـ ٦٥٤م) ومسلمة بن مخلد (١ ـ ٦٢هـ ٦٢٢ ـ ٦٨٢م) ـ (وقيل : حارجة بن حذافة (٤٠هـ ٦٦٠م) . .) ـ . . . ولا يُغْلب اثنا عشر ألفا من قلّة . .» [1]

وبالثمانية آلاف ، والصحابة الأربعة ـ الذين يعدلون أربعة آلاف ـ حاصر المسلمون «حصن بابليون» سبعة أشهر ، حتى اقتحموه وافتتحوه عنوة وقتالا فى نهاية المطاف! . . وكان ذلك فى يوم الجمعة ٢ محرم سنة ٢٠ هـ ٢٢ ديسمبر سنة ٦٤٠م . . وبذلك أصبحت العاصمة الوطنية لأقباط مصر ـ «منفيس» ـ محررة من استعمار الروم البيزنطيين .

● وأثناء حصار المسلمين لـ «حصن بابليون» ـ الذى كان يقود وم دفاعا عنه ، قائدهم «الأعيرج» ـ حدثت اتصالات ودارت ـاوضات بين «المقوقس» ، عظيم القبط ووالى «منفيس» ، وبين ، عمرو بن العاص . . حدث ذلك فى آحر شعبان سنة ١٩هـ أعسطس سنة ٦٤٠م ، عندما تحدث المقوقس إلى قيس بن ـعد (٦٠هـ ٦٨٠م) مندوب عمرو بن العاص . . وبعد هذه لمحادثة ، أرسل المقوقس رسلا من عنده لاستطلاع حال المسلمين فى معسكرهم . . «فلما جاءت رسل المقوقس إليه ، قال لهم :

---

(١) المصدر السابق ص٦١

ـ كيف رأيتموهم ؟

ـ قالوا : رأينا قوما الموت أحب إلى أحدهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نَهْمَة ، إنما جلوسهم على التراب ، وأكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم ، ما يُعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد فيهم من العبد ، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد ، يغسلون أطرافهم بالماء ، ويتخشعون فى صلاتهم .

فقال ـ عند ذلك ـ المقوقس : والذى يُحْلَفُ به! لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، ومايقوى على قتال هؤلاء أحد ، ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم إن أمكنهم الأرض وقووا على الخروج من موصعهم . .» [1]

لقد تميّز موقف القبط ــ الذى عبر عنه المقوقس ــ وذلك تبعا لتميز موقف أسقف القبط «أبو ميامين» ــ تميز موقف القبط عن موقف المستعمرين الروم . . فسعى المقوقس إلى مصالحة الجيش الإسلامى الفاتح . . ودارت بينه وبين المسلمين مفاوصات ــ فى «منفيس» ـ مثّل المسلمين فيها وفد قاده الصحابى عبادة بن الصامت . . وكان المقوقس ، وهو يحاور عبادة بن الصامت ــ ولهذا دلالته ومغزاه ــ يتحدث عن الروم بضمير الغائب ، فيقول لعبادة ، محذرا إياه من قوة الروم ، والإمدادات الآتية إليهم ــ عبر البحر المتوسط ـ : «لقد توجّه إلينا لقتالكم من جَمْع الروم ما لا يُحْصَى عددُه . . وإنما لنعلم أنكم لن تقووا عليهم ولن تطيقوهم ، لصعفكم وقلتكم . .» [2]

---

(١) المصدر السابق . ص٦٥

(٢) المصدر السابق ص٦٦

ولقد أفضت المفاوضات بين المقوقس ، عظيم القبط ـ فى «منفيس» ـ وبين رسل عمرو بن العاص ، إلى صلح ناجز بين القبط ـ الذين تعاقد المقوقس باسمهم ـ وبين عمرو بن العاص . . وإلى صلح آخر ، غير ناجز ، اقترحه المقوقس على الروم ، وعلّق إمضاءه على موافقة هرقل ، قيصر الروم . .

فأما صلح القبط ـ الناجز والنهائى ـ فلقد تم التعاقد عليه عندما اجتمعوا ـ عمرو بن العاص فى نفر من المسلمين ، والمقوقس فى نفر من القبط ـ «واصطلحوا على أن يُفْرَض على جميع من بمصر ، أعلاها وأسفلها ، من القبط ديناران ديناران . . من بلغ الحُلُم منهم ، ليس على الشيخ الفانى ولا على الصغير الذى لم يبلغ الحُلُم ولا النساء شئ . . وأن لهم أرضهم وأموالهم ، لا يُعْرَض لهم فى شىء منها . فشُرط هذا على القبط خاصة» . .[1]

وبذلكَ تم التعاقد على الصلح بين الجيش الفاتح وبين الشعب المصرى ، وقيادته الوطنية . . وهو التعاقد الذى عبر عن الموقف العملى للشعب من الجيش الفاتح ، وهو موقف الترحيب والدعم والتأييد ، الذى أعلن عنه الأسقف «أبو ميامين» منذ معركة «الفرما» فى شبه جزيرة سيناء . .

أمــا «مــشــروع» الصلح بين المسلمين والروم ، والذى تطوع المقوقس ، عظيم القبط ، فتفاوض حوله مع عمرو بن العاص . . فلقد كان مجرد «مشروع» اتفقا على تعليق إنجازه وإمضائه على موافقة هرقل ، قيصر الروم . . وفى هذا «المشروع» : «شَرَط المقوقس للروم أن «يُخيَّروا ، فمن أحب منهم أن يقيم على مثل هذا ـ (الصلح

(١) المصدر السابق ص٧٠

الذى عقده القبط) ـ أقام على ذلك ، لازما له ، مفترضا عليه ممن أقام بالأسكندرية وما حولها من أرض مصر كلها ، ومن أراد الخروج منها إلى أرض الروم خرج ، وعلى أن للمقوقس الخيار فى الروم خاصة حتى يكتب إلى ملك الروم يعلمه ما فعل ، فإن قبل ذلك ورضيه جاز عليهم ، وإلا كانوا جميعا على ماكانوا عليه . وكتبوا بذلك ـ (الصلح) ـ كتابا . . »[1]

فلما كتب المقوقس إلى هرقل بخبر ونص هذا الصلح المقترح على الروم . . رفضه هرقل . «وكتب إلى المقوقس يُقَبِّح رأيه ، ويُعَجِّزُه ويرد عليه ما فعل ، ويقول فى كتابه ـ (إلى المقوقس) ـ : إنما أتاك من العرب اثنا عشر ألفا ، وبمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يُحصى ، فإن كان القبط كرهوا القتال وأحبوا دفع الجزية إلى العرب واختاروهم علينا ، فإن عندك بمصر من الروم بالإسكندرية ومن معك أكثر من مائة ألف معهم العدة والقوة . . فناهضْهم القتال ، ولايكون لك رأى غير ذلك

● وكتب ملك الروم بمثل ذلك كتابا إلى جماعة الروم . .

● فأخبر المقوقس عمرو بن العاص بجواب ملك الروم ، وطلب منه إدخاله ومن معه فى الصلح ، كالقبط ـ (أى إدخال من مع المقوقس من الروم ، الذين اختاروا الصلح ، فى هذا الصلح الذى تم مع القبط) ـ وقال لعمرو بن العاص : إنما سلطانى على نفسى ومن أطاعنى ، وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم ، ولم يأت من قِبَلهم نقض ، وأنا متمّ لك على نفسى ، والقبط متمون لك على

(٢) المصدر السابق : ص٧٠ ـ ٧٣ .

الصلح الذى صالحتهم عليه وعاهدتهم ، وأما الروم فأنا منهم برىء . .» [1]

هكذا تميز الموقف الإسلامى من القبط ، الذين صالحوا وعاونوا وسالموا ، عن الموقف من الروم ، الذين احتاروا القتال . .

وحتى القرى المصرية التى ساند أهلها الروم ، وشاركوا فى قتال الجيش الإسلامى ـ قرى «بَلْهيت» و «سُلْطيْس» و« أم دنين» و «قرطَسَا» و «سَخا» و «الخيس» ـ فى الطريق إلى الإسكندرية ـ حتى هذه القرى ، عفا أمير المؤمنين عمرْ بن الخطاب عن أهلها ، وحرر أسراهم ، وشملهم بالصلح الذى أبرمه الأقباط مع عمرو بن العاص . . [2]

● وفى الطريق إلى الإسكندرية ، كان الرومان قد زرعوا الحصون والاستحكامات وشحنوها بالجنود والعتاد . . فدارت العديد من المعارك بين الجيش الإسلامى الفاتح وبين هذه الحصون والقلاع والحاميات الرومانية . .

حدث ذلك فى «أُمّ دُنين» . . بالقرب من العاصمة المصرية ،حصن بابليون . .

وفى «سُلْطَيْس» . وهى من القرى المصرية القديمة . . حدث ال شديد بين المسلمين والرومان .

وفى «قَرطَسا» . . وهى من قرى مصر القديمة .

وفى «الخَيس» . . وهى من كور وقرى الحوف الغربى . .

(١) المصدر السابق . ص٧١ ، ٧٢

(١) المصدر السابقة ص٨٣ ، ٨٤

وفى «سَخا» وهى من المدن المصرية القديمة بدلتا النيل . .

وفى «بَلْهيت» ـ أو «بَلْهِيت» . .

وفى «كوم شريك» ـ قرب الإسكندرية ـ دام القتال ثلاثة أيام . .

وفى «الِكرْيَوْن» ـ قرب الإسكندرية ـ استمر القتال بضعة عشر يوما . . حتى لقد صلى المسلمون يومئذ صلاة الخوف . . فانقسموا طائفتين ، وصلى عمرو بن العاص بكل طائفة ركعة وسجدتين ، بينما الطائفة الأخرى تخوض غمار القتال ، وتؤمن صلاة المصلين! . [1]

كل هذا قد حدث ـ ومثله كثير ـ على طريق الجيش الفاتح ، أثناء سيره من حصن بابليون إلى الاسكندرية بينما حصون الروم وقلاعهم منتشرة فى عير ذلك من الأقاليم والأنحاء ، شرقا وغربا وشمالا وجنوبا .

لقد أدخل صلح المقوقس مع عمرو بن العاص مصر الشعب فى إطار الدولة الإسلامية . .

وفتحت هزيمة الرومان فى حصن بابليون الطريق أمام الجيش الفاتح نحو الإسكندرية ، التى هى المعركة الفاصلة بين المسلمين ـ ومعهم القبط ـ وبين المستعمرين الرومان .

(١) المصدر السابق . ص٧٣ ، ٧٤

فتح الإسكندرية

● وبعد هزيمة الروم فى «حصن بابليون» - يوم الجمعة ٢ محرم سنة ٢٠هـ ٢٢ ديسمبر سنة ٦٤٠م - تحرك الجيش الإسلامى لحصار الإسكندرية ، عاصمة الاستعمار الرومانى فى مصر ، وفرض عليها الحصار - إلا من ناحية البحر - أربعة عشر شهرا . . وكما يروى التاريخ عن الإسكندرية وحصارها . . فلقد «تحصّن بها الروم ، وكانت عليهم حصون مبنية لا ترُام ، حصن دون حصن . فنزل المسلمون ما بين «حلوة» إلى «قصر فارس» إلى ماوراء ذلك ، ومعهم رؤساء القبط يمدونهم بما احتاجوا إليه من الأطعمة والعلوفة » [1]

ورغم مناعة الحصون . . والمائة ألف رومى الذين اعتصموا فى هذه الحصون . . والمدد الذى يأتيهم من البحر . . استطاع المسلمون اقتحام الاسكندرية ، وتقويض الاستعمار الذى بدأ مع فتح الإسكندر الأكبر ، قبل نحو ألف عام (سنة ٣٣٢ ق .م) . . فلقد فتح الله عليهم هذه المدينة الحصينة يوم الجمعة أول جمادى الثانية سنة ٢٠هـ ١٨ مايو سنة ٦٤١م . .

ولقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذى حدد للجيش الفاتح تاريخ المعركة وتوقيت الفتوح ، وشروط الانتصار . . والمؤرخون يتحدثون عن ذلك ، فيقولون : إنه «لما أبطأ على عمر بن الخطاب

(١) المصدر السابق ص٧٤

فتح مصر ، كتب إلى عمرو بن العاص : أما بعد ، فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر . إنكم تُقاتلون منذ سنتين ، وما ذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحبَّ عدوُّكم . وإن الله ـ تبارك وتعالى ـ لا ينصر قوما إلا بصدق نيّاتهم

وقد كنتُ وجّهتُ إليك أربعة نفر ، وأعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل ، على ما كنتُ أعرف ، إلا أن يكونوا غيَّرهم ما غيَّر غيرهم .

فإذا أتاك كتابى هذا ، فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ، ورغبهم فى الصبر والنية ، وقدم أولئك الأربعة فى صدور الناس ، ومر الناس جميعا أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد ، وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة ، فإنها ساعة تَنَزُّل الرحمة ووقت الإجابة ، وليَعُجَّ الناسُ إلى الله ويسألوه النصر على عدوهم» .

فلما أتى عمرو بن العاص كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، جمع الناس وقرأ عليهم الكتاب ، ثم دعا أولئك النفر ـ (الزبير بن العوام . والمقداد بن الأسود . . وعبادة بن الصامت . . ومسلمة بن مخلد) ـ فقدّمهم أمام الناس ، وأمر الناس أن يتطهروا ويصلوا ركعتين ، ثم يرغبوا إلى الله ـ عز وجل ـ ويسألوه النصر ، ففعلوا ، ففتح الله عليهم . . » [1]

هكذا فتحت الإسكندرية ، وبفتحها دالت دولة الروم ، وطويت صفحة استعمارهم للشرق ، بعد أن دامت قرابة الألف عام . . ذلك أن الإسكندرية كانت هى حصن الاستعمار البيزنطى ، الذى قهر

---

(١) المصدر السابق ، ص٧٩

مصر فى السياسة والدين والثقافة والحضارة، فجعل منها «فراغا حضاريا» سعت إلى ملئه بحضارة الإسلام، تلك التى ورثت وأحيت كل المواريث الحضارية التى سبقت الإسلام.. والتى حرر فتحها الإسلامى القبط من الاضطهاد المأساوى الذى أنزله بهم الروم البيزنطيون..

لقد تحققت، بفتح الإسكندرية، نبوءة «هرقل» ـ قيصر الروم ـ تلك التى قال فيها: «**لئن ظهرت العرب على الإسكندرية، فإن فى ذلك انقطاع ملك الروم وهلاكهم، لأنه ليس للروم كنائس أعظم من كنائس الاسكندرية**» وبعد فتحها تمت فتوحات سائر الأقاليم المصرية.

فبعد أن أسس عمرو بن العاص مسجده ـ وهو أول مسجد بنى فى القارة الإفريقية ـ (سنة ٢١هـ سنة ٦٤٢م) ـ واختط من حوله خطط أولى المدن الإسلامية فى أفريقيا ـ مدينة الفسطاط ـ التى جعلها امتدادا وضاحية للعاصمة الوطنية المصرية التاريخية «ممفيس» ـ بل وسماها «مصر» ـ رمزا لتعبير الفتح الإسلامى وعاصمته عن تحرير مصر، وليس عن القهر الذى رمزت إليه العواصم الاستعمارية «أواريس» الهكسوس، و«إسكندرية» لإسكندرية المقدونى ـ.. بعد ذلك قاد المقداد بن الأسود الجيش لذى فتح «دمياط» (سنة ٢١هـ ٦٤٢م)..

وفى العام التالى (سنة ٢٢هـ ٦٤٢م) قاد عمرو بن العاص الجيش الذى فتح به «برقة ـ إنطابلوس»، وهى الحد الغربى للديار المصرية..

وبذلك تمت فتوحات الإسلام لمصر، تلك التى استغرقت من

الحصار والقتار أربع سنوات فلقد صلى المسلمون ـ وراء عمرو بن العاص ـ صلاة عيد الأضحى بالعريش فى العاشر من ذى الحجة سنة ١٨هـ ١٣ ديسمبر سنة ٦٣٩م وكان تمام الفتح ـ بقيادة عمرو ـ لـ«برقة ـ انطابلوس» سنة ٢٢هـ سنة ٦٤٢م وهى مدة غير مسبوقة ، فى طولها ، بتاريخ الفتوحات الإسلامية . لبلد كان الروم قد علقوا عليه كل الآمال ، وعلق عليه الإسلام والمسلمون الكثير والكثير من الآمال! .

ويكفى أن نعلم أن أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب ، الذى أهمّه اتخاذ قرار فتح مصر أكثر مما حدث له مع قرارات الفتوحات الكبرى قد استقبل بشارة فتح مصر ، وسقوط قلاع الروم فى الإسكندرية كما لم يستقبل بشارة فتح من الفتوح ، على كثرة وعظمة ماشهد عهده من الفتوح

ولقد كان حامل بشارة الفتح إلى المدينة واحدًا من أبطال الفتوحات الإسلامية ، الصحابى معاوية بن حديج (٥٢هـ ٦٧٢م) ـ والراوى عن رسول الله ﷺ ، حديث · «غُدْوَةٌ فى سبيل الله أورَوْحَة خير من الدنيا وما فيها» [1] ـ فوصل إلى مسجد المدينة ساعة الظهيرة ، وظنا منه أن أمير المؤمنين قَائِل قيلولة الظهيرة ، آثر الانتظار بالمسجد إلى صلاة العصر ـ ومادرى أن عمر يحرّقه القلق والشوق إلى أخبار الفتح الذى أبطأ به الزمان ـ حتى لقد وجّه الجوارى والغلمان لترقب القادمين من الأسفار ، علّ أن يكون فيهم من يحمل من مصر الأخبار . .

(١) رواه الإمام أحمد وانظر . ابن الأثير (أسد الغابة فى معرفة الصحابة) ـ ترجمة معاوية بن حديج ـ طبعة دار الشعب القاهرة

ولندع معاوية بن حديج يروى لنا كيف استقبل عمر بن الخطاب بشارة الفتح العظيم ، الذى دخلت به مصر فى دين الله ، والذى كان عيد ميلاد إسلامها ! . يقول معاوية :

«بعثنى عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بفتح الإسكندرية . . فقلت لعمرو :

- ألا تكتب له؟ .

- فقال عمرو : وما أصنع بالكتاب ؟! ألستَ رجلا عربيا ، تُبلغ الرسالة وما رأيتَ وحضرتَ؟! .

فقدمتُ المدينة فى الظهيرة ، فأنختُ راحلتى بباب المسجد ، ثم دخلت المسجد . فبينا أنا قاعد فيه إذ خرجت جارية من منزل عمر ابن الخطاب ، فرأتنى شاحبا ، علىّ ثياب السفر ، فأتتنى فقالت :

- من أنت ؟ .

- قال . فقلت : أنا معاوية بن حديج ، رسول عمرو بن العاص .

فانصرفت عنى - (إلى منزل عمر) - ثم أقبلت تشتد - (مسرعة) - أسمع حفيف إزارها على ساقيها ، حتى دنت منى فقالت :

- قم ، فأجب ، أمير المؤمنين يدعوك .

فتبعتها ، فلما دخلت ، فإذا بعمر بن الخطاب يتناول رداءه حذى يديه ويشد إزاره بالأخرى ، فقال :

- ما عندك ؟ .

- فقلت : خير ، يا أمير المؤمنين ، فتح الله الإسكندرية ! .

فخرج معى إلى المسجد ، فقال للمؤذن :

- أذن فى الناس : الصلاة جامعة .

فاجتمع الناس ، ثم قال لى :

- قم ، فأخبر أصحابك !

فقمتُ فأخبرتهم ، ثم صلى ، ودخل منزله ، واستقبل القبلة فدعا بدعوات ، ثم جلس ، فقال :

- ياجارية ، هل من طعام ؟ .

فأتت بخبز وزيت ، فقال :

- كُلْ .

فأكلتُ على حياء! .

- ثم قال : ياجارية ، هل من تمر ؟

فأتت بتمر فى طبق ، فقال :

- كُلْ .

فأكلتُ على حياء ! . .

- ثم قال : ماذا قُلْتَ ، يامعاوية ، حين أتيتَ المسجد ؟ .

- قال : قلتُ : أمير المؤمنين قائل

- قال :بئس ما ظننتَ! لئن نمتُ النهار لأضيِّعَنّ الرعية ، ولئن نمتُ الليل لأضيعن نفسى ، فكيف بالنوم مع هذين يامعاوية؟!» [1]

هكذا استقبل عمر بن الخطاب ، وعاصمة الدولة الإسلامية ، بشارة الفتح العظيم ، الذى دخلت به مصر فى دين الإسلام . . فأذن المؤذن · الصلاة جامعة . . فلما اجتمع الناس ، صلى الجميع وسجدوا جميعا ـ فى مسجد النبوة ـ شكرا لله ، سبحانه وتعالى الذى أدال دولة الروم ، بعد أن أدال دولة الفرس ، فتحررت شعوب الشرق من استبداد واستعباد وهيمنة «نظام» عالم ذلك التاريخ! . .

---

(١) فتوح مصر وأخبارها) ص٨١

أمـا الروم ، فـإنهم لـم يجـعلوا هزيمتــهم فى الإسكندرية ـ يوم الجمعة أول جمادى الثانية سنة ٢٠هـ ١٨ مايو سنة ٦٤١م ـ نهاية أحلامهم فى استعمار مصر والشرق . . فنقضوا العهد الذى عاهدوه عقب الهزيمة ، وتآمروا مع من بقى منهم بالاسكندرية ، واقتحموا المدينة من البحـر فى سنة ٢٥ هـ سنة ٦٤٦م . . واحـتلوها إلى أن عاد إليها عمرو بن العاص ، فقاتلهم وهزمهم ، وفتح الاسكندرية ـ الفتح الثانى ـ فى تاريخ هذا الصراع . .

ولقد كان هذا الغدر رومانيا خالصا ! . . وبعبارة المؤرخين : «وأما المقوقس فبقى ثابتا على صلحه ، ولم يغدر» . . [1]

بل ظلت القسطنطينية ـ عاصمة الدولة البيزنطية ـ تُجَيِّش الجيوش لاستعادة الشرق من الدولة الإسلامية حتى تاريخ الفتح العثمانى لها (٨٥٧هـ ١٤٥٣م) بقيادة السلطان محمد الفاتح (٨٢٢ ـ ٨٨٦هـ ١٤٢٩ ـ ١٤٨١م) .

فمصر كانت ، وظلت ، فى «النظام الغربى» بوابة استعمار لغرب للشرق ، وضمانة بقاء هذا الاستعمار . ولذات السبب انت أهميتها فى الفتوحات التحريرية التى غير بها الإسلام ة الحضارة ، ومقاصدها ، فغير بذلك مجرى التاريخ

* * *

لقد دخل الجيش الإسلامى إلى مصر ، فميز فيها بين «الأمة لمقهورة» التى أمّنها وحررها وأحياها والتحم بها . . وبين «الدولة

---

(١) محمد مختار باشا المصرى (التوفيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ) ـ توقيعات سنة ٢٥هـ دراسة وتحقيق د محمد عمارة ، طبعة بيروت سنة ١٩٨١م

القاهرة» التى حاربها وهرمها وطوى صفحة استعمارها لمصر وقهرها للمصريين . .

ولعل فى تمايز هذا الموقف الإسلامى - إزاء «الأمة» و «الدولة» - السر فى ذلك الخلاف الشهير بين المؤرخين الذين كتبوا عن الفتح الإسلامى لمصر . . خلافهم حول فتح مصر ، وهل كان «عُنْوَة» - بالقتال ؟ . . أم كان «صلحا» - دونما قتال - ؟؟ .[1]

فمصر «الأمة . . والشعب» قد فتحت «صلحا» . وحتى قبل تعاقد المقوقس ، عظيم القبط ، مع عمرو بن العاص على هذا الصلح . . ومنذ أن عرف المصريون نبأ دخول عمرو بن العاص وجيش الإسلام إلى أرض سيناء . . فالمصريون قد وقفوا يساندون الجيش الإسلامى الفاتح منذ معركة «الفرما» فى شمالى سيناء . . ومنذ ذلك التاريخ ، أيضا ، كان قرار وتوجيه بطرك مصر «أبوميامين» - وهو منفى وهارب فى الصحراء -

أما «مصر» الدولة البيزنطية ، فإنها هى التى «فتحت - بل وقُهِرَت - عنوة وقتالا» . . بل وقتالا شرسا ، استغرق من الجيش الباسل ، الذى ضم جمهرة من الأبطال ، صحابة رسول الله ﷺ ورضى عنهم وأرضاهم ، أربع سنوات فكان أطول «فتوح العنْوَة» فى تاريخ فتوحات الإسلام ! . .

(١) (فتوح مصر وأخبارها) ص٨٤ - ٩٠ .

الإحياء الإسلامى لمصر..

والإحياء المصرى للإسلام!

لم يكن الإحياء الإسلامى لمصر مقصورا على الذين أسلموا من أهلها دون سواهم من شعبها . . فلقد كان الإسلام ـ كما مثلته الشريعة الخاتمة ـ هو «اللَّبِنَة» المتممة لمكارم الأخلاق الدينية ـ كل الأخلاق الدينية ـ . . ومن ثم ، فإنه قد استهدف إحياء كل مكارم الأخلاق الدينية لدى جميع أبناء الشرائع والرسالات السماوية التى سبقت شريعة الإسلام المحمدية . .

وكان الإسلام هو الشريعة الخاتمة ، التى تحيى مالم يتجاوزه التطور . . وتصحح ما أصابه التحريف . . وتحقق ما حدث الاختلاف فيه ، فى كل شرائع السماء . .

وكان الإسلام هو الدين الذى لايكتمل إيمان المؤمنين به إلا إذا آمنوا بكل الرسل والرسالات ، والأنبياء والنبوات ، والكتب التى سبق وأوحى بها الله ـ سبحانه وتعالى ـ على مر تاريخ الرسالات الدينية .

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾[1] .

---

(١) البقرة ٢٨٥

وكان الإسلام هو الدين الذى يعلِّم الناس أن تعدد البشر فى الشرائع واختلافهم فى الملل هو السنة الإلهية والقانون الدينى الذى لا تبديل له ولا تحويل .

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (١) ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (٢) .

ولذلك ، كان الإحياء الإسلامى إحياء لمطلق الدين الإلهى الواحد ، الذى تعددت فيه الملل والشرائع والرسالات والنبوات . وكان الإحياء الإسلامى ، فى مصر ، تصحيحا وتجديدا واستئنافا ترتفع به مجددا راية التوحيد ، التى رفعتها مصر منذ رسالة نبى الله إدريس ـ عليه السلام ـ فى فجر الاجتماع البشرى . . فالإسلام كمال وتمام للدين الإلهى الواحد ، وليس نقضا ونفيا لما سبقه من الدين!

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (٣) .

---

(١) المائدة ٤٨

(٢) هود ١١٨ ، ١١٩

(٣) المائدة ٤٨

ولأن أهل مصر قد عانوا الشدائد القاسية والمحن القاتلة فى ظل القهر الرومانى . . فلقد رأوا فى دولة الإسلام الحرية والتحرير المنقذين لهما من الهلاك ، الأمر الذى جعل الإسلام لهم : الحياة والإحياء . .

ونحن عندما نتأمل حوار «حاطب بن أبى بلتعة» ـ الحامل لكتاب رسول الله ﷺ إلى شعب مصر ـ مع «المقوقس» عظيم القبط ، نطالع هذه الرؤية الإسلامية لعلاقة الإسلام بما سبق شريعته من شرائع السماء . . فحاطب ـ الصحابى المسلم ـ يتحدث إلى المقوقس ـ النصرانى القبطى ـ فيقول له :

– «**وإن لك دينا لن تَدَعَهُ إلا لما هو خير منه ، وهو الإسلام ، الكافى الله به فَقْدَ ما سواه ـ (أى أن الإسلام شامل لحقيقة النصرانية ، وزائد عليها ، ومتجاوز لها) ـ ، وما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد . وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل ـ (أى أن الإسلام مصدق لما بين يديه من كتاب ، تصديق الإنجيل لما قبله من توراة) ـ ولسنا ننهاك عن دين المسيح ، ولكنا نأمرك به**»

فالفتح الإسلامى لمصر ، لم يكن بالنسبة لأجدادنا أقباط مصر ، أمرا بالتخلى عن دين المسيح ، وإنما كان دعوة للالتزام بحقيقة دين المسيح! . ومن هنا فلم يكن غريبا أن يمثّل هذا الفتح الإسلامى الإحياء الحقيقى لنصرانية الأقباط المصريين! . .

لقد أعاد إليهم ، لأول مرة فى تاريخ النصرانية المصرية حرية العقيدة ، وحرية الاختيار . . وبعد أن كانت النصرانية عقيدة مضطهدة ومطاردة وهاربة ، تقدم الضحايا والشهداء على امتداد

القرون الستة التى سبقت الفتح الإسلامى تمتعت لأول مرة فى تاريخها، بالحرية والأمان .

وبعد أن كانت كنائسها وأديرتها مغتصبة من قبل مسيحية الدولة الرومانية الاستعمارية - «مسيحية بولس» - ومذهبها الملكانى - حرر الفتح الإسلامى هذه الكنائس الوطنية وأعادها إلى الأقباط، فكانت المرة الأولى التى يحرر فيها أهل دين مقدسات دين آخر، لا ليحوزوها لأنفسهم ودينهم، وإنما ليعيدوها إلى أبناء الدين المغاير! .

فكأن الإسلام، بذلك، هو الذى بنى كنائس مصر القبطية من جديد! . .

وبعد أن كان البطرك القبطى «بنيامين» - أو «أبوميامين» - (٣٩هـ ٦٥٩م) - وهو رمز النصرانية المصرية - ومذهبها اليعقوبى - هاربا فى الصحارى ثلاثة عشر عاما . منذ أن طلبه هرقل (٦١٠ - ٦٤١م) قيصر الروم، ليقتله، فلما هرب من هرقل، أحرق هرقل أخاه «مينا» - عداوة لليعاقبة، كما يقول المقريزى (٧٦٦ - ٨٤٥هـ ١٣٦٥ - ١٤٤١م) . جاء الفتح الإسلامى، فأرسل عمرو بن العاص إلى «بنيامين» بعهد الأمان . . «وكتب عمرو «لبنيامين» بطرق اليعاقبة أمانا، فى سنة عشرين من الهجرة، فسَرَّه ذلك، وقَدِم على عمرو، وجلس على كرسى بطركيته بعد ما غاب عنه ثلاث عشرة سنة فغلبت اليعاقبة على كنائس مصر ودياراتها كلها، وانفردوا بها دون الملكية . .» [1]

(١) المقريزى (الخطط) جـ٣ ص ٥٣٤، ٥٣٥ طبعة دار التحرير. القاهرة

وهكذا كرّس الفتح الإسلامى لمصر إحياء وازدهار وبقاء أعرق الكنائس الوطنية للنصرانية على الإطلاق . . وظل ذلك شاهد صدق على مثله الإسلام فى مصر من الإحياء الدينى ، لمطلق الدين . . وليس فقط لدين وشريعة الإسلام .

وكما استوعبت الحضارة الإسلامية علوم مدرسة الاسكندرية ، التى بدأت ترجماتها العربية منذ القرن الهجرى الأول ، بتوجيه وقيادة ومشاركة الأمير الأموى خالد بن يزيد (٩٠ هـ ٧٠٨م) فلقد استوعبت هذه الحضارة الإسلامية كذلك ماسبقها من المواريث الدينية ، والقيم الإيمانية ، بل وغدا أبناء هذه المواريث صناعا وشركاء فى هذه الحضارة الجديدة ، التى مثلت بالنسبة للجميع جامع الانتماء الحضارى الواحد ، الذى استوعب الموروث ، ووظفه فى هذا البناء الحضارى الجديد . .

فقبل الفتح الإسلامى لمصر ، كانت النصرانية المصرية مجرد «ثقافة مقهورة» ، محرومة من صناعة الحضارة الخاصة بها ـ فلا «سياسة» و لا «دولة» و لا «اقتصاد» ولا «اجتماع» من سمات الحضارة وقسماتها ـ لأن «دنيا مصر ودولتها» ـ التى منها ولها وبها تتبلور الحضارة ـ كانت «هلينية ـ رومانية ـ استعمارية» . فلما جاء الفتح الإسلامى ، تحررت مصر وتحررت نصرانيتها ، وغدت فى ظلال الإسلام ـ مشاركة فى صنع الحضارة العربية الإسلامية ، على قدم المساواة مع المسلمين . .

* * *

أما على الجبهة الإسلامية ـ فى البشر . . والعلوم ـ فإن دور مصر ، فى الإحياء الإسلامى والإبداع الحضارى والثراء العلمى

والتجديد الفكرى والتميز فى المنهاج ، قد جسدته آلاف المجلدات وفى مقامنا هذا تكفى إشارات إلى معالم هى أشبه بالعناوين .

● إن مصر قد وصلت «توحيد» خاتمة الرسالات السماوية ـ الإسلام ـ بتوحيد رسالة نبى الله إدريس ـ التى عاصرت آدم أبى البشر ، وأولى الرسالات السماوية التى عرف التاريخ لها وطنا تواصلت فيه ومضات هذا التوحيد ـ فكأنها قد أمسكت «خيط» التوحيد من طرفيه! . .

● وهى قد وصلت خاتمة الحضارات ذات الصبغة الإلهية ـ الحضارة الإسلامية ـ بأعرق الحضارات الإنسانية ـ الحضارة المصرية القديمة ـ والتى بدأت ، هى الأحرى ، ذات صبغة دينية ، عندما جاءت تعاليم علومها المدنية علما إلهيا بثه فى المصريين نبى الله إدريس ، عليه السلام

● ومصر ، قد وقفت فى مقدمة شعوب الإسلام التى مثلت وتمثل الوسطية الإسلامية ـ التى هى خصيصة الإسلام وأمته ، كما أرادها الله ، سبحانه وتعالى :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [1] .

● ففى الاختلافات المذهبية : اختارت مذهب جمهور الأمة ، مذهب أهل السنة والجماعة ، مع حب لآل البيت ـ آل بيت رسول الله ﷺ ـ الذين ظلموا ـ فشاعت فى أسمائها أسماؤهم ، وقامت

---

(١) البقرة . ١٤٣ .

على أرضها مزاراتهم ـ دون أن يشوب هذا الحب غلو الإفراط عند الذين تعصبوا لآل البيت ، ولا شوائب غلو التفريط الذى أصاب من ناصبوهم العداء . . بل لقد ظل المسلمون المصريون يضعون شهداء أقباطها ـ فى الصراع مع الرومان ـ ومزاراتهم فى نفس مصاف الشهداء والقديسين والأولياء المسلمين! . .

● وفى المذاهب «الكلامية» ـ مذاهب أصول الدين ـ احتضنت مصر مذهب جمهور الأمة ـ أشعرية أهل السنة والجماعة ـ الذى حاول الجمع والتأليف بين عناصر الحق والعدل فى مذاهب الإسلاميين . . وكان هذا هو حال جامعاتها العلمية ـ وفى مقدمتها الأزهر الشريف ـ تلك التى احتضنت كل تراث الأمة وجميع مذاهبها ، وتعاملت مع خلافاتها بأمانة ومسئولية وأفق لا يعرف تحيزات المتعصبين . .

● وفى المذاهب الفقهية ـ مذاهب علم الفروع ـ اختارت مصر مذاهب أئمة أهل السنة والجماعة ، وذلك دون أن تقف عند مذهب واحد منها ، حتى لا تنمو فيها بذور التعصب المذهبى . . لقد توزع جمهورها بين «المالكية» و «الشافعية» ، وهما أكثر لمذاهب الفقهية جمعا ـ بالوسطية ـ بين «الرأى» و «الأثر» ـ مع وائر ، بين أهل مصر ، «للأحناف» «أهل الرأى» ، و «الحنابلة» ، «أهل الأثر» ، تعلن عن الوجود لهم والقبول بهم .

● وفى السياسة والدولة ، سرعان ما أصبحت مصر الإسلامية ـ بعد فترة نقاهتها من الاضطهاد الرومانى وقهره الحضارى ـ سرعان ما أصبحت «ولاية قائدة» و «إمارة رائدة» . ثم غدت «كرسى خلافة» و «عرش سلطنة» أغلب قرون تاريخ الإسلام ، وذلك بدءا

من الدولة الطولونية (٢٦٦ ـ ٢٩٢ هـ ٨٧٩ ـ ٩٠٥م) فالدولة الإخشيدية (٣٣٣ ـ ٣٥٧هـ ٩٣٥ ـ ٩٦٩م) فالدولة الفاطمية (٢٩٧ ـ ٥٦٧هـ ـ ٩٠٩ ـ ١١٧١م) فالدولة الأيوبية (٥٦٧ ـ ٦٤٨هـ ١١٧١ ـ ١٢٥٠م) فالدولة المملوكية (٦٤٨ ـ ٩٩٢هـ ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م) . . فعلى امتداد نحو سبعة قرون كانت مصر ـ فى الدولة والسياسة ـ مقر الخلافة والسلطنة الجامعة لأغلب أقطار وأقاليم دار الإسلام .

● وفى مواجهة التحديات الشرسة التى اقتحمت ديار الإسلام ـ وأغلب تاريخنا تحديات ! ـ حققت مصر فى الممارسة والتطبيق نبوءة رسول الله ﷺ ، التى أوصى فيها باتحاذ الجند الإسلامى من أهلها ، لأنهم فى رباط إلى يوم القيامة . . «اتخذوا فيها جندا كثيفا ، فذلك الجند خير أجناد الأرض ، لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة» .

صدّقت مصر وحققت ـ فى الممارسة والتطبيق . . وعبر تاريخ الإسلام ـ هذه النبوءة النبوية . . فكانت هى التى جيشت الجيوش وعبأت الجهود وجهزت الكتائب وقادت الجهاد وتقدمت الصفوف لمقاتلة الغزوة الصليبية (٤٨٩ ـ ٦٩٠هـ ١٠٩٦ ـ ١٢٩١م) والتحالف «الصليبى ـ المغولى» (٦٥٨ هـ ١٢٦٠م) ـ فى «عين جالوت» . .

والاتفاق والتطويق البرتغالى للعالم الإسلام ـ على شواطىء الهند ـ (٩١٠هـ ١٥٠٤م) . . والحملة الفرنسية (١٢١٣ ـ ١٢١٦هـ ١٧٩٨ ـ ١٨٠١م) . . وحملة «فريزر» الانجليزية (١٢٢٢هـ ١٨٠٧م) . . والاحتلال الانجليزى (١٢٩٩ ـ ١٣٧٥هـ ١٨٨٢ ـ ١٩٥٦م) . . بل وقادت وموّلت وساعدت حركات التحرر الوطنى ضد كل ألوان وقوى الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة ، على

امتداد وطن العروبة وعالم الإسلام ، وما حول وطن العروبة وعالم الإسلام . . ولاتزال حاملة لهذه المسئولية القيادية فى مواجهة تحدى «الشراكة الإمبريالية ـ الصهيونية» ، منذ قيام هذه «الشراكة» وحتى هذه اللحظات . .

● أما فى الإبداع الحضارى . . فلقد روت مصر ثمرات الإسلام من جذور إبداعها الحضارى القديم فكان لها الإسهام المتميز فى مختلف علوم الحضارة الإسلامية ، الشرعية منها والمدنية ، علوم المقاصد وعلوم الأدوات والآليات . . فى علوم القرآن الكريم . . وعلوم السنة النبوية الشريفة . . وعلوم العربية وآدابها . . وفنون القول والتثقيف للنفس الإنسانية . . وعلوم الفقه الأكبر وأصول لدين . . وعلوم الفقه وأصوله . . وعلوم السيرة والملاحم والقصص لتاريخ . . وعلوم البناء والتشييد وزخرفة الواقع وزينة المكان . . لوم الحرب والجهاد والقتال . . وعلوم السلم وتنمية العمران فى راعة والصناعة والتجارة والحرف التى تواصلت فيها إبداعات لشعب عبر العصور والقرون . إلى آخر كل ميادين الإبداع لحضارى ، التى تتزين بها النفس والبيئة ، ويصلح بها «المعاش» و لعاد» ! .

● بل إن مصر ، التى لم تعرف التسامح الدينى فى تاريخها السابق على الإسلام ـ عندما استعرت نيران الاضطهاد الدينى بين أتباع «آمون» وأنصار «إخناتون» . . وطاردت الوثنية المصرية طلائع النصرانية الوافدة إلى أرضها . . وتواصل الاضطهاد من الوثنية الرومانية ـ بل ومن نصرانيتها «الملكانية» ضد النصرانية

القبطية «اليعقوبية» ـ حتى لقد سالت الدماء ، وتوالت مواكب الشهداء ، وهُدّمت المعابد والكنائس ، وأحرقت المكتبات ، وسُحل الكهنة والفلاسفة ـ . .! إن مصر هذه ـ التى اكتوت بنيران هذا التعصب الدينى وذلك الاضطهاد المذهبى ـ سرعان ما كشف الإسلام عن معدنها الأصيل وخلقها النبيل ، وذلك عندما تدينت بالإسلام ، فعلمت وتعلمت أن سنة الله فى الخلق هى التعددية فى الملل والديانات ، والاختلاف فى المذاهب والفلسفات ، فاستبدلت السماحة بضيق الصدر والأفق ، واستعاصت بالتعايش بين الديانات عن غرائز الواحدية المذهبية والأثرة الدينية . . فغدت فى العالمين مضرب الأمثال فى القبول بالآخر الدينى والتعايش السلمى مع المخالفين . .

حدث ذلك لمصر ، منذ أن وعت معنى الكلمات التى قالها حامل كتاب رسول الله ﷺ إلى «المقوقس» ـ حاطب بن أبى بلتعة ـ والتى خاطب بها «المقوقس» فقال ٠

ـ «ولسنا ننهاك عن دين المسيح ، ولكنا نأمرك به»! . .

وزاد وعيها بهذا الموقف الإسلامى الجديد ، عندما قرأت وحفظت ورتلت فى صلواتها قول الله سبحانه وتعالى ٠

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [1] ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن

(١) البقرة .٢٨٥

لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (١) ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (٢) .

لقد بدأت مصر ، بذلك ، طورا جديدا ، أحيا فيه الإسلام سماحتها ، فغدت سماحتها هذه من فضائل عالم الإسلام .

* * *

كل هذا صنعه الفتح الإسلامى بمصر . . وصنعته مصر للإحياء الإسلامى . . فكان هذا الفتح ـ الذى نطل على ذكراه الـ ١٤٠٠ (أربعة عشر قرنا على تمامه) ـ عيد ميلاد مصر الإسلامية ، وإيذانا بعودة كنانة الله فى أرصه إلى موقعها القائد ومكانتها الرائدة فى صناعة الحضارة ، وقهر التحديات ، والتصدى للاستكبار والاستغلال ، وتحرير ملكات وطاقات الإنسان . . واسترخاص كل عال وبذل كل نفيس فى سبيل حمل هذه الأمانات .

وإذا كان هذا الفتح الإسلامى لمصر (سنة ٢١ هـ ٦٤٠م) قد أعاد إلى مصر عافيتها الحضارية ، فغدت القائدة والرائدة فى سائر ميادين الفتوح ، عبر تاريخ الإسلام . . وإذا كانت قد صنعت ذلك بالإسلام ، وله ولأمته وحضارته وعالمه . . فإن أفضل احتفال بذكرى هذا الفتح العظيم هو الذى يسدد خطوات مصر على هذا الطريق . . طريق العزة بالإسلام . . وتحقيق العزة للإسلام والمسلمين . .

---

(١) المائدة ٤٨ (٢) هود : ١١٨ ، ١٩٩

بل إننا مدعوون إلى تحقيق وتحرير التواريخ التى شهدت فيها مصر رسالات وصحوات وومضات التوحيد الدينى ، عبر تاريخها الطويل ـ منذ رسالة إدريس ـ عليه السلام ـ وحتى رسالة محمد ، خاتم الأنبياء ـ عليه الصلاة والسلام ـ . وعبر رسالة موسى وهارون . . والمسيح عيسى ابن مريم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ . إننا مدعوون إلى تحقيق وتحرير تواريخ استقبال مصر لأنوار التوحيد الإلهى والشرائع السماوية ، لتكون هذه التواريخ أعيادا قومية يشارك فى إحيائها كل المتدينين بديانات التوحيد ، فى هذا البلد الآمن ، الذى حمل أهله هذه الأمانة عبر هذا التاريخ الطويل والعريق .

فلنحتفل بعيد ميلاد مصر الإسلامية . . الذى يقبل علينا مرور أربعة عشر قرنا على ذكراه . . ولنحتفل بعيد ميلاد النصرانية فى مصر ـ منذ القرن الميلادى الأول ـ . .

ولنحتفل بنصر الله توحيد موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ على استبداد الفرعونية واستغلال القارونية . . ولتكن أعياد التوحيد الإلهى هى الأعياد الموحدة لكل المصريين . . بل ولكل العرب والمسلمين

المصادر

- القرآن الكريم
- كتب السنة النبوية.
- معاجم القرآن والسنة:

١- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ وضع محمد فؤاد عبد الباقى ، طبعة دار الشعب . القاهرة .
٢- المفردات فى غريب القرآن . للراغب الأصفهانى . طبعة دار التحرير . القاهرة .
٣- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى الشريف . وضع وينسنك (أ . ى) وآخرين طبعة ليدن سنة ١٩٣٦م ـ سنة ١٩٦٩م

- الكتب الأخرى:

بن الأثير :(أسد الغابة فى معرفة الصحابة) طبعة دار الشعب القاهرة .
ابن تغرى بردى · (النجوم الزاهرة) طبعة دار الكتب المصرية . القاهرة .
ابن جلجل : (طبقات الأطباء والحكماء) تحقيق : فؤاد سيد . طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م .
ابن عبد الحكيم · (فتوح مصر وأخبارها) طبعة ليدن سنة ١٩٢٠م .

د. أحمد عثمان : (مخطوطات نجع حمادى ، أضواء جديدة على تاريخ المسيحية) ـ مجلة «الهلال» عدد يونية سنة ١٩٩٥م

الطبـرى : (تاريخ الرسل والملوك) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . طبعة دار المعارف القاهرة .

الطهطاوى (الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى) دراسة وتحقيق : د . محمد عمارة . طبعة بيروت سنة ١٩٧٤م .

د. عبد المنعم أبو بكر : (إخناتون) طبعة القاهرة سنة ١٩٦١م

عبد الوهاب النجار : (قصص الأنبياء) طبعة دار إحياء التراث العربى . بيروت .

فؤاد أفرام البستانى ـ محرر ـ :(دائرة المعارف) طبعة بيروت سنة ١٩٥٦م .

د. فؤاد حسنين على : (التوراة الهيروغليفية) طبعة دار الكاتب العربى . القاهرة .

ليونارد كوتريل ـ مشرف ـ : (الموسوعة الأثرية العالمية) ترجمة : د . عبد القادر محمد ، د . زكى إسكندر . طبعة القاهرة سنة ١٩٨٧م .

د. محمد حميد الله ـ محقق ـ : (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة) طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م .

محمد عبده (الأستاذ الإمام) : (الأعمال الكاملة) دراسة وتحقيق : د . محمد عمارة . طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م .

محمد مختار باشا المصرى : (التوفيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ) دراسة وتحقيق : د . محمد عمارة . طبعة بيروت سنة ١٩٨١م .

المقريزى : (الخطط) طبعة دار التحرير القاهرة .

د. نعمات أحمد فؤاد: صحيفة (الأهرام) ـ القاهرة ـ فى ٣٠ـ١٠ـ ١٩٩٦م .

الفهـــرس